المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الحادي والاربعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٢ — الموافق ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٠

نشوء الانسان

خطبة الدكتور اليوت سمث رئيس قسم الانثربولوجيا (اي علم الانسان) في مجمع تقدم العلوم البريطاني

مدار النشوء

خطب لورد مورلي بالامس فقال « ان ابناء هذا العصر قد توسَّعوا جدًّا في معنى كلمة النشوء فحمَّلوها فوق ما تحتمل » . لكنهُ اضطرَّ ان يقول بعد ذلك « ان لا بدَّ من استعمال هذه الكلمة في علم التاريخ وعلم السياسة » . اما نحن المجتمعين في هذا المكان وغرضنا البحث في طبيعة الانسان وكيفية نشوء جسمهِ وعاداتهِ وشرائعهِ فالمسائل المتعلقة بذلك هي اخص القضايا التي نتوخى حلها ويرى اكثرنا فيها من دلائل النشوء اكثر مما يرى في علم السياسة ولذلك فنحن اشدُّ تعرضاً للتوسع في معنى هذه الكلمة وفي تطبيقها على ما نبحث فيهِ

لما خطب سلَفي الدكتور ريفرس خطبة الرئاسة في هذا القسم في العام الماضي اعترض على ما يميل اليهِ علماء الانثروبولوجيا في هذه البلاد وهو انهم يرون ادلة النشوء في كثير من تاريخ الانسان وانتشار معارفهِ وآدابهِ حيث لا يدلُّ البحث المدقق على وجود ادلة ثابتة للنشوء

ولقد كانت تلك الخطبة غاية في البلاغة والفائدة فلا ألام اذا اشرت الى بعض ما جاء فيها لان شرح الدكتور ريفرس لكيفية تغيير آرائهِ في عادات سكان جزائر الهند الشرقية نبهني لامر لم انتبه لهُ قبلاً في بحثي عن عادات سكان وادي النيل فانني عثرتُ على امور مثل التي عثر عليها فقد قال انهُ لما اراد ان يستقصي نشوء العادات والشرائع فرَضَ ان ما يكون منها متشابهاً في بلدان مختلفة فقد نتج من ان عقول الناس متماثلة فاذا تساوت احوالهم وجب ان تتماثل عاداتهم وشرائعهم وتجري على نسق واحد في نشوئها لان الاسباب المتشابهة تنتج نتائج متشابهة . ولكنهُ لما زاد بحثاً وتدقيقاً وجد من النتائج ما لا ينطبق على

هذا التعليل لانهُ رأى انهُ اغضى عن امور كثيرة تولدت من امتزاج الامم بعضهم ببعض ومن اختلاط عاداتهم

وقد ذكرت ذلك الآن لا لكي ابيّن اهمية تلك الخطبة النفيسة والاقوال الحكيمة التي قيلت فيها وهي من اهم ما قالهُ روَّساء هذا الفرع ولا لكي اصف لكم كيف ابتدأتُ بحثي في سكان وادي النيل مفتشاً عن ادلة النشوء فوجدت ان لامتزاج الشعوب بعضها ببعض فعلاً اشد من فعل النشوء واقوى دليلاً بل لان غرضي هو البحث في ذلك الفرع من علم الانسان الذي فيهِ ادلة قاطعة على فعل النشوء اعني بهِ نسب الانسان والقوى التي كيَّفت سبيل الارتقاء الذي سار فيهِ اسلافهُ حتى صار انساناً

ويظهر لي انهُ لا بدَّ لمن اعتاد البحث في علم الحياة من ان يتقدم الى البحث في مسائل الانثربولوجيا وفي اعتقادهِ ان الانسان نشأ نشوءًا مستقلاًّ عن غيرهِ من الحيوانات وان النشوء هو الاساس الوحيد للبحث . ولكن كل مَن يبحث في المسائل المتعلقة بتاريخ الانسان واعمالهِ ولاسيما منذ ستة آلاف سنة الى الآن بحثاً منزهاً عن الغرض لا بدَّ لهُ من ان يصل الى النتيجة التالية عاجلاً او آجلاً وهي ان النشوء وحدهُ لا يكفي لحل ما يراهُ من المشاكل وان اكثر العوامل التي تستدعي البحث في تاريخ الانسان واعمالهِ ناتج عن هجرات شعوبهِ وامتزاجها بعضها ببعض

وخوفاً من ان يُفهَم من قولي غير ما اريد بهِ اصرّح علانية اني لا اشك في حقيقة النشوء كما فهمهُ دارون ولا في ما لا يزال لهُ من التأثير العظيم في نوع الانسان . ومن المحتمل ان الانسان وقى نفسهُ من فعل الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح كما قال السر راي لنكستر ولكن لقد ثبت بالدليل ان الانسان يتعرَّض دواماً لاحوال جديدة توافق الانتخاب الطبيعي وغيرهُ من انواع الانتخاب التي يختارها عقلهُ وتعرّضهُ لها عاداتهُ فتفعل بهِ ولو ظن البعض ان قواهُ الفائقة تقيهِ مما سماهُ السر راي لنكستر «بقصاص الطبيعة الذي لا مردَّ لهُ»

وليس من غرضي الآن البحث في المسائل المختلف فيها مثل كيف يفعل النشوء في العصر الحاضر ولا متى انفصلت طوائف الناس وامتازت بعضها عن بعض ولا كيف حدث ذلك . بل البحث في المسألة القديمة وهي اصل الانسان نفسهِ واول ظهور الخواص البشرية في اقدم اسلافهِ . فالى هذا الموضوع اوجه التفاتكم

قيل في كتاب طُبع حديثاً (١) « انهُ لا يزال في اصل الانسان وقِدَمهِ امور كثيرة غير محققة

---

(١) كتاب النشوء تأليف طمسن وجدس J. A. Thomson and P. Geddes

ويصعب علينا ان نكتشف الفواعل التي فعلت في تولدهِ وارتقائهِ». ولا شبهة في ان العلماء مختلفون اختلافاً كبيراً في حقيقة اصل الانسان ولكن يظهر لي ان الادلة قد توفرت الآن لمن يشاء ان يتَّبع نسب الانسان ويستقصيهُ حتى عصر الميوسين(١) من العصور الجيولوجية اي الى نحو مليون سنة او حواليها وذلك بدقة وتفصيل ليس لدينا ما يفوقها في استقصاء اصل حيوان آخر من الحيوانات اللبونة(٢) الحديثة. وان كنا لا نعلم حتى الآن كل الفواعل التي فعلت في تولد الانسان وارتقائهِ فاننا نعلم فاعلاً واحداً ويمكننا ان نبحث فيهِ وهو ارتقاء الدماغ ارتقاء مستمرًّا في الحيوانات العليا المعروفة بالرئيسة(٣) الى ان نصل الى الانسان وهذا هو السبب الاسامي الذي رقَّى الانسان مهما كانت الاسباب الاخرى التي ساعدت على ارتقائهِ

ومرادي ان اذكر لكم سلسلة الحيوانات الفقرية التي تدل الدلائل على انها اقرب من غيرها الى اسلاف الانسان ويمكن البحث فيها الآن ومعرفة ما حدث من التغير في ادمغتها في كل درجة من درجات ارتقائها تمهيداً لايضاح التدرُّج في تولُّد قوى الانسان العقلية التي قوَّت موافقتهُ لما عرض لهُ من الاحوال المختلفة ونوَّعت عمل الانتخاب الجنسي فصيرت الانسان في الحالة التي نراه فيها الآن

ان الحلقات التي كشفها علم الاحافير (البليئتولوجيا) من سلسلة اسلاف الانسان قليلة لا يبنى عليها حكم اذا نظرنا اليها غير مرتشدين بارشاد تشريح المقابلة. وقد ذكر علماء النفس درجات قالوا ان العقل مرَّ عليها في ارتقائهِ وان الدماغ هو الصورة الجسمية لهذا البناء العقلي. ويظهر لي انهُ يحسن بنا ان نستخدم ما نعرفهُ من نشوء الدماغ كصلة تصل ما عُرف من الامور الجوهرية المتعلقة بتسلسل الانسان والفواعل التي فعلت في ظهورهِ ممَّا عرفهُ علماء

---

(١) اي العصر الاقل حداثةً وفيهِ آثار الاجناس من الحيوانات اللبونة انظر المجلد ٣٨ من المقتطف صفحة ١٤٢ (المقتطف)

(٢) الحيوانات اللبونة Mammalia اي ذوات الثدي وقد اخترنا اللبونة على ذوات الثدي لانها كلمة واحدة وتؤَدي المعنى المراد (المقتطف)

(٣) سمي لينيوس هذه الحيوانات Primates اي الاوَّل اراد بها نوع الانسان وانواع القرود والسعادين والليمور والخفافيش. وقد اخترنا ان نعربها بكلمة رئيسة ولعلها اصلح من غيرها لانها تكاد تكون ترجمة حرفية (المقتطف)

الحيوان وتشريح المقابلة والجيولوجيا والبليئتولوجيا والفسيولوجيا والسيكولوجيا (١). لان نمو الدماغ والانتفاع بالاختبار اللذين ترتبا على اتساع المخ هما الفاعلان اللذان دعيا الى ظهور الحيوانات اللبونة كما ابنت في اجتماع بورتسموث في العام الماضي عند الكلام على اصل هذه الحيوانات . ومنها ارتقى الحيوان الذي بلغ من الاستفادة بالاختبار اسمى درجة وذلك باستمرار نمو دماغهِ وان شئتم فقولوا نمو عقلهِ

فعلى من يبحث عن اصل الانسان ان يبحث اولاً عن دماغهِ وعقلهِ . ولقد عرف دارون ذلك واوضحهُ بما امتاز بهِ من حسن البيان . ولكن أُهمل البحث في هذا الموضوع بعد ايامهِ او دار على ما لا شأن لهُ من فروعهِ

ولا شبهة ان هذا الاهمال (اي اهمال ادلة تشريح المقابلة) نتج في الغالب عن دعوى بعض علماء التشريح المشهورين الذين قاوموا آراء دارون في البحث الذي جرى في مجمع تقدم العلوم البريطاني وغيرهِ منذ اكثر من اربعين سنة (فان السر رتشرد اون قال حينئذٍ ان الانسان يمتاز على القرد بان في دماغهِ جزءًا يسمى قرن امون الاكبر وهو ليس موجوداً في دماغ القرود فردَّ عليهِ هكسلي بان قرن امون هذا موجود في دماغ القرد ايضاً) واتخذ الكاتب تشارلس كنسلي ذلك موضوعاً للتهكم في كتابهِ المعروف باطفال الماء فقال

« وقف الاستاذ (هكسلي) في مجمع ترقية العلوم البريطاني وقال ان ادمغة القرود تحوي قرن امون الاكبر (٢) مثل ادمغة البشر . فُبهت الناس من هذا القول لانهُ ان صحَّ فما يصيب ايمان الملايين من بني البشر ورجاءهم ومحبتهم . قد تظن ان بين الانسان والقرد فروقاً اهم من ذلك مثل النطق وعمل الآلات والتمييز بين الخير والشر وتلاوة الصلوات ولكن هذا من اوهام الصغار يا صاح ولا يُعتمد الاَّ على قرن امون الاكبر فاذا كان في دماغك قرن امون الاكبر فلست قرداً ولو كان لك اربع ايدٍ لا قدمان وكانت سحنتك قردية اكثر من كل القرود . لا تنسَ ان الفارق الحقيقي بين الانسان والقرد ان في دماغ الانسان قرناً يسمى قرن امون الاكبر وانهُ اذا كُشف قرن مثلهُ في دماغ القرد فهو ليس قرن امون الاكبر بل شيءٌ آخر »

ويمكننا الآن ان نرى جلياً سخافة ما تمسك بهِ السر رتشرد اون فاني قد اكتشت منذ

---

(١) ترجمة هذه العلوم على ترتيبها علم بناء الارض وعلم الكائنات القديمة (او علم الاحافير) وعلم وظائف الاعضاء وعلم النفس او الفلسفة العقلية (المقتطف)

(٢) عضوان كالقرن في باطن الدماغ احدهما اكبر من الآخر والكلمة الانكليزية قرن امون او hippocampus لكن كنسلي حرفها قصد التهكم وقال hippopotamus وهو اسم الحيوان المعروف بفرس البحر

بضع سنوات ان هذا القرن موجود في ادمغة كل الحيوانات اللبونة. ولكن الجدال المشار اليهِ آنفاً صرف انتباه الناس عن المسائل المهمة وهو مثال لما كان جارياً حينئذٍ مما اغمض عيون العلماء عن الامور التي تستدعي البحث بالدقة والتأني

نسب الانسان

ما من احد يعرف تركيب جسم الانسان وتركيب جسم الغورلاَّ الأ ويرى بينهما مشابهة تامة لا يتيسر تعليلها بغير وجود القرابة بينهما · وانكارنا وجود هذه القرابة بمثابة اعترافنا بان لا فائدة من كل حقائق تشريح المقابلة في الدلالة على القرابة الجنسية بين انواع الحيوان ورجوعنا الى عصور الجهل الاولى · واذا بقي عند احد ريب في صحة هذا الدليل على وجود القرابة التامة بين بناء جسم الانسان و بناء جسم الغورلاَّ ففعل الدم يثبت الدليل التشريحي (١) واتصال العدوى الى القرود الشبيهة بالانسان من الامراض التي يصاب بها الانسان بينما القرود الاخرى لا تعدى بها دليل آخر يعزز الدليل الاول ويقويهِ · وما قيل عن الغورلاَّ يقال عن الجبون والشمبانزي (٢) · وهذه القرود متسلسلة من قرود اخرى احط منها الى ان تصل الى ادناها رتبةً الى الزغبة التي تشبه السنجاب ويخاف منها البعض كأنها من الارواح الشريرة (٣) ولا حاجة بي الآن الى ذكر الادلة على صحة هذا القول بعد الذي اوردهُ الدكتور غريغوري حديثاً

النيو باليوم وعلاقتهُ بالاستفادة من الاختبار

قلت ان القرابة تامة بين جسم الانسان واجسام الحيوانات اللبونة الى ادناها رتبة فما هي الاسباب التي رقَّت هذه الانواع وجعلتها درجات بعضها فوق بعض من ادناها الى الانسان اعلاها

ان الحيوانات اللبونة التي الانسان نوع منها تمتاز عن سائر الحيوانات الفقرية بكبر ادمغتها ونموها و بانها تستفيد من الاختبار اكثر كثيراً مما تستفيد منهُ سائر الحيوانات ولا نستثني الطيور · واعمال كل الحيوانات مهما تنوعت ودقت مبنيٌّ اكثرها على الغريزة

---

(١) اثبت الدكتور اهلنهوث منذ سبع سنوات انهُ اذا لُقحت ارنب بدم الانسان خرج من دمها مصل لا يحدث راسباً الاَّ في دم الانسان او دم القرد انظر المجلد ٣١ من المقتطف صفحة ٤٤٤

(٢) هذه الثلاثة اي الغورلا والجبون والشمبانزي هي ارقى انواع القرود

(٣) وهنا ذكر الخطيب هذه الحيوانات واحدًا واحدًا من اعلاها الى ادناها وهي غير معروفة عندنا باسمائها اما الزغبة فدويبة كالفارة او السنجاب الصغير

فالواسطة التي مكّنت الحيوان من جعل اختباره يؤثر في افعاله هي الواسطة التي اخضعت غرائزهُ لعقله . فما هي هذه الواسطة

ان التعلّم بالاختبار يستلزم نمو جزءٍ من الدماغ تصل اليهِ معلومات المشاعر وتصير فيهِ واسطة للتأثير في تصرّف الحيوان وليس ذلك فقط بل يكون هذا الجزء بمثابة سجل لحفظ هذه المعلومات حتى تستعيدها الذاكرة في المستقبل حينما تدعو الحال اليها ولحفظ التأثير الذي اثّرتهُ

وهذا الجزء موجود في ادمغة الحيوانات اللبونة وهو القشرة الدماغية التي اطلقتُ عليها منذ احدى عشرة سنة اسم النيوباليوم(١) فان مراكز كل الحواس تتصل بها وكل جزءٍ من اجزائها التي تصل اليها المدركات النظرية والسمعية واللمسية وغيرها متصل بغيرهِ من الاجزاء تمام الاتصال . ويمكننا ان نسمي هذا النيوباليوم بالحس المشترك الذي فتش عنهُ ارسطوطاليس وغيرهُ من كبار الفلاسفة مدة عشرين قرنًا لانهُ عضو جامع يجمع بين المشاعر كلها كما قال فيهِ وليم مكدوغل

وكل ما حدث في هذا العضو في الادوار التي نما فيها واتسع وتنوّع في الحيوانات اللبونة العليا لم يغير وظيفتهُ الاساسية فبقي عضواً جامعاً وكل جزءٍ منهُ موضوع بحيث تصل اليهِ المعلومات الخاصة وهو يوصلها الى سائر الاجزاء . ومجموع ذلك اخص مقومات الحياة المدركة

والوجدان الذي مقرّهُ في النيوباليوم واليهِ تصل كل مدركات المشاعر وتنبه فيهِ ذكرى المدركات السابقة يظهر في اعمال الحيوان بواسطة جزءٍ منهُ وهو الجزء المحرك المتصل بالعضلات والاوتار والمتسلط على الحركات الارادية التي تحركها العضلات

تنوّع الحيوانات اللبونة ونتائج التخصيص

لما ارتقى دماغ الحيوان الى هذا الحد اتسع نطاق شعورهِ وتطبيقهِ اعمالهُ على الاحوال المختلفة المحيطة بهِ . ثم ان استعمال هذه القوة الجديدة للتعلم من الاختبار الشخصي والانتفاع من انتجاع الرزق في مواطنهِ والاستفادة مما يراهُ الحيوان من الوسائل الجديدة كل ذلك مهد السبيل لحدوث تغييرات لا تحصى فيهِ طبقاً لمختلف الاحوال التي تعرّض لها فتنوّع بناؤُهُ التنوّع الذي يحتملهُ جسمهُ

ولقد جرّبتِ الطبيعة تجارب لا تحصى في هذا الدماغ الجديد حالما رأى الحيوان الاول الذي تولّد فيهِ انهُ مدفوع بهِ لتطبيق اعمالهِ على مقتضى الحال . فتولدت الحيوانات اللبونة

---

(١) Neopallium اي البرنس الجديد او الغلاف الجديد

التي تبيض بيضاً (بروتوثاريا) كالاخدنة وذوات الكيس اي التي يقيم صغارها في كيس قرب بطنها (متاثاريا) كالقنقر الى ان تصل الى ذوات المشيمة (اوثريا) وكلها متفاضلة في ارتقاء ادمغتها

وهذه الحيوانات الكبيرة الادمغة الواسعة الاختبار انتشرت بسرعة في الارض كلها من مواطنها في جنوب افريقية واختبرت كل نوع من المعيشة فاختار كلٌّ منها ما يوافق المكان الذي اقام فيهِ وظهرت نتيجة ذلك في تنوُّع بنائها فصلح بعضها للسكن على الارض وحفر الاوجار فيها والبعض للاقامة في الاشجار والبعض للطيران والبعض للاقامة في الماء . واضطرَّ بعضها الى الجري السريع فتنوعت قوائمهُ حتى صارت صالحة لسرعة الحركة ففاق غيرهُ في بداءة الامر وكبر جسمهُ . ونمت في غيرهِ الاعضاء الصالحة للهجوم بنوع خاص والملكات التي تمكّن صاحبها من اقتناص غيرهِ على غرَّة منهُ

واكثر هذه الطوائف احرز ما يحرزهُ الحيوان اذا اقتصر على نوع واحد من المعيشة ولكنهُ فقد ما يفقدهُ بهذا الاقتصار وهو استعداد الجسم لكل حالة جديدة تطرأُ عليهِ وتكيُّفهُ بحسبها . ولقد زعم البعض من الذين كتبوا في المواضيع البيولوجية والانثروبولوجية ان بقاء المزايا القديمة في الحيوان من دلائل انحطاطهِ . وهذا غير سديد بل ان المبالغة في امتياز الاعضاء حتى يصير كلٌّ منها صالحاً لعمل واحد دون غيرهِ وتخصيص المعيشة حتى تجري في خطة واحدة — كل ذلك من دلائل الضعف لانهُ بمثابة ترك المعيشة الحرَّة الواسعة النطاق وابدالها بمعيشة محدودة ضيقة

ثم ان الاصل الذي تولّد منهُ الانسان اخيراً مرَّت عليهِ عصور كثيرة وهو ضعيف الشأن بينما كانت الحيوانات اللبونة الاخرى تنمو وتقوى . ولكن لا يكون السبق دائماً للسريع فان تلك الحيوانات الضعيفة اضطرها ضعفها ان تستعمل كل قواها على السواء ولا تقتصر على قوة واحدة ولا تضحي ما يمكن ان تنالهُ في المستقبل لاجل الامتياز بقوة من القوى في الحاضر فكانت النتيجة ان تولَّد منها ارقى المخلوقات في الادراك وارسخها فيهِ قدماً

ان زغبة الشجر حيوان كالجرذ او كالسنجاب طعامهُ الحشرات والاثمار يتطلبهُ على الارض وفي الاشجار . واذا جلس للاكل جلس القرفصاء ومسك طعامهُ بيديهِ كالسنجاب وهو رشيق القد خفيف الروح . هذا الحيوان الآكل الحشرات الكبير الدماغ بالنسبة الى صغر جسمهِ المتصل بادنى انواع الحيوانات اللبونة في بناء دماغهِ واسنانهِ واعضائهِ لهُ

قرابة لا تنكر (ولو كانت بعيدة جدًّا) بالليمور ادنى انواع السعادين . ومن حسن التوفيق لمن يبحث بحثنا أنْ بقيت هذه الدويبة حتى الآن على ما كانت عليهِ في عصر الابوسين او ما قبلهُ وبقي معها الليمور نسيبها وهي تكاد تكون من الحيوانات الرئيسة من غير ان تتغير تغيراً يعتدُّ بهِ فنستعين بها على درس تسلسل الحيوان . فاننا نستطيع ان نعلم بها ما كان للمعيشة في الاشجار من التأثير في الحيوانات اللبونة الاولى وما هي التغيرات التي اقتضاها تحوُّل اسلاف الحيوانات الرئيسة الى ان صارت رئيسة حقيقة

كان دماغ اسلاف الحيوانات اللبونة مجهزًّا بحاسة الشم بنوع خاص وبقيت هذه الحاسةَ فيهِ حتى بعد ان صارت الحيوانات لبونة بالفعل وصار لسائر المشاعر مراكز في النيوبالوم فان الحيوان بقي يعتمد على حاسة الشم اكثر مما يعتمد على غيرها من حواسهِ وذلك لان الشم كان قد انشأ لنفسهِ الاعضاء اللازمة لهُ في الدماغ وتمكن منهُ قبلما تولدت فيهِ ممثلات المشاعر الاخرى ولانهُ الزم لذوات الاوجار من سائر الحواس سواء كان في تفتيشها عن طعامها او تمييزها اصدقاءها من اعدائها ولذلك عاشت هذه الحيوانات بين الروائح وكانت تتعرف الاشياء بروائحها خاصة واما اللمس والنظر والسمع فكانت مساعدات لحاسة الشم لا غير

ولما تركت هذه الحيوانات الارض وسكنت الاشجار تغير كل ذلك اذ قلَّت فائدة الشم لها وزادت فائدة النظر واللمس والسمع وصارت مضطرة ان تكون سريعة الحركة دقيقتها والاَّ سقطت من مواقفها فنما في دماغها الجزء المتسلط على موازنة الاعضاء والحركات حسبما يستدعيهِ السكن بين اغصان الاشجار . فالحيوانات التي تقيم في الاشجار كالزغبة تضعف آلات الشم فيها وتقوى في دماغها مراكز البصر واللمس والسمع والحركة ويقوى فيهِ ما يجمع بين هذه المشاعر اي بين ما يصل الى الدماغ عن طريق الحواس

ولذلك يتولد في ادمغة الحيوانات التي تعيش في الاشجار ميزان يوازن بين المشاعر المختلفة . وتدعو معيشتها الى جعل الخفة من لوازمها التي لا غنى لها عنها . وكل ذلك لا يغير ولا يبدل في اعضاء ابدانها . فنمت ادمغة هذه الحيوانات نموًّا كبيراً وبقيت ابدانها على ما كانت عليهِ من الليونة والميل الى التنوُّع حسب ما تقضي دواعي الحال

وهنا فعلت قوى الانتخاب الطبيعي كما فعلت في كل الحيوانات اللبونة وزادت فعلاً لان هذا الحيوان يتعلم بالاختبار اي فيهِ ذكاء يستدعي دفعهُ الى كل المواقف التي يفعل فيها الانتخاب فامتازت افراد منهُ من وجوه مختلفة . ويهمنا منها بنوع خاص الحيوان الذي صار بصرهُ احدَّ من بصر غيرهِ

ستأتي البقية

الشيخ سعيد الخوري الشرتوني

اقترحت عليَّ مجلة المقتطف ان اكتب لها ترجمة وجيزة لفقيد اللغة والانشاء الشيخ سعيد الخوري الشرتوني اصفهُ فيها كمؤَلف ومنشئ ومدرس وشاعر ووالد وصديق فكتبت السطور التالية

هو سعيد بن عبدالله بن ميخائيل بن الياس بن يوسف ابن الخوري شاهين الرامي نشأَت اسرتهُ في قرية رام ميفوق من اعمال كسروان فلما خربت تلك القرية رحل بعض سكانها وفي جملتهم الخوري شاهين الرامي فاستوطن شرتون وهي قرية من قرى الجرد في قضاء الشوف من لبنان . ثم تغلب على سلالتهِ لقب بلدتهم فعرفوا ببني الشرتوني ومنهم نشأَ صاحب الترجمة

ولد في شرتون عام ١٨٤٩ فكبر وترعرع امياً مثل كثيرين من اترابهِ في ذلك العهد . ولما بلغ الثالثة عشرة من عمرهِ شاهد يوماً فتاة في شجرة تين فتناول حجراً ورشقها بهِ فذعرت وزلت قدمها فسقطت الى الارض وماتت على الاثر . فخاف وتولاهُ الرعب وحسب للعقاب الف حساب . وللحال هرب من قريتهِ لا يلوي على شيء

ولا يتوهمن القراء ان هذه الحكاية خرافة لا اصل لها فاني سمعتها عن لسان احد انسبائهِ وانما استطردت اليها تأْييداً لقولهم (رُبَّ شر ادى الى خير) فان الجناية التي ارتكبها صاحب الترجمة غير متعمد ولا بالغ سن الرشد كانت مبدأَ حياتهِ العلمية الجديدة وجهادهِ الادبي ومفتاحاً لشهرتهِ المترامية . واليك البيان

هام على وجههِ حتى وصل الى قرية عبيه فشفق المرسلون الاميركيون عليهِ وادخلوهُ الى مدرستهم هناك وكان ذلك سنة ١٨٦٢ فمكث فيها عامين ثم انتقل الى مدرسة سوق الغرب التي انشأَها المرحوم الياس الصليبي باموال الانكليز فاتمَّ دروسهُ اي مبادئَ الحساب والجغرافيا وشيئاً يسيراً من مبادىء اللغتين العربية والانكليزية . على انهُ كان ذكيًّا حاد الذهن مجتهداً لا يضيع وقتهُ سدًى فاكتسب بالمطالعة اضعاف ما تلقاهُ من المدرسة

وفي ذلك الحين طُلب مدرساً الى مدرسة عين تزار للروم الكاثوليك فقضى فيها خمس سنوات ودرس عليهِ كثير من الطلبة وكانت المطالعة والممارسة تزيدانهِ خبرة ومعرفة وتضلعاً . وانتقل من هناك الى دمشق فدرَّس فيها حيناً حتى سنة ٧٥ ثم انتقل الى كلية الاباء اليسوعيين فمكث ١٥ عاماً يدرس فيها وفي مدرسة الناصرة للراهبات ثم في المدرسة

البطريركية ومدرسة الحكمة · ولم يتم عليهِ هذا الزمن حتى بدا نبوغهُ في اللغة وصار يعد من المنشئين الذين يشار اليهم بالبنان

وقد تولى تصحيح مطبوعات اليسوعيين نحو ٢٢ سنة لم يكن يفتر فيها بحكم الضرورة وعامل الرغبة عن مواصلة البحث والتنقيب في اسفار اللغة العربية فألَّف معجمهُ (اقرب الموارد) وهو على ما فيهِ من السهو في بعض المواضع يعد اقرب المعجمات العربية مأخذاً واجملها اسلوباً. ومن مقدمة الجزء الثالث منهُ تتضح اهميتهُ وما اقتضاهُ وضعهُ من العناية والتدقيق · ولاسيما ان المؤلف جمع فيهِ شوارد اللغة التي استخرجها من بحور المؤلفات العربية بعد ما طال الامد على فقدها من المعاجم · وما علم احد قبلهُ انها من جمان اللغة ولو عثروا عليها او تنبهوا لها لاثبتوها في مظانها · وقد نظم المؤلف ما كان منفرطاً من عقدها وجعل امام كل لفظة منها حرف (س) اي سعيدية او منسوبة الى سعيد

ومن مؤلفاتهِ في عهد التدريس وبعدهُ بقليل (السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب) وهو اقدمها وقد انتقد فيهِ بعض الضوابط التي جاءَت في كتاب (غنية الطالب) لاحمد فارس الشدياق · ولهُ ايضاً (الشهاب الثاقب) في الترسل و (المعين) في التمرن على الانشاء و (مطالع الاضواء) و (الغصن الرطيب) و (نجدة اليراع) في اللغة و (حدائق المنثور والمنظوم) وكلها من انفس ما كتب في اللغة والخطابة والانشاء والشعر والبيان · وقد نشر ايضاً كتباً اخرى معلقاً عليها الحواشي منها (نوادر ابي زيد) و (بحث المطالب) وغيرها

وهكذا صرف الفقيد عمرهُ باحثاً منقباً لفائدة ابناء قومهِ واحياء ما طمس من معالم اللغة · وظل بين المحابر والاقلام يؤلف وينشئ المقالات في الجرائد والمجلات حتى مني بفقد شقيقهِ المرحوم رشيد ثم رشقهُ الدهر بسهمين فقد بهما كريمتيهِ وكانتا من ذوات الادب الرائع على ما سنبينهُ · فساورتهُ الهموم وضعضعت هذه المصائب قواهُ واوهت جلدهُ فاشترى بيتاً في الشياح من ضواحي بيروت وانزوى فيهِ لا يتعهد القريحة الاَّ نادراً ولبث على ذلك حتى ادركتهُ الوفاة في ١٨ آب (اغسطس) سنة ١٩١٢

هذا مجمل ترجمة حياة هذا اللغوي الكبير اوردتهُ تمهيداً لما سيأتي من التفصيل بحيث اصف الفقيد في ادوارهِ الادبية والاجتماعية مؤلفاً ومنشئاً ومدرساً وشاعراً ووالداً وصديقاً

مؤلفاً

كان صاحب الترجمة بحَّاثة مدققاً في ما يجمعهُ ويعلقهُ من الحواشي · بيد انهُ تحدَّى في الجزءَين الاولين من معجمهِ (اقرب الموارد) قاموس محيط المحيط فلم يزد على ما جاءَ فيهِ ولا

اصلح ما بدر من الهفوات في شرح بعض الالفاظ بل اثبتها على علاتها لم يغير فيها حرفاً فكان في ذلك مقلداً اكثر منهُ موءلفاً مدققاً . ولكن حسناتهِ في الجزء الثالث الذي سماهُ (ذيلاً) لاقرب الموارد ترجح على سيئاتهِ في الجزءين الاولين . فانهُ استقصى فيهِ شوارد اللغة على ما تقدم بيانهُ ولم يدع آبدة الأ قيدها ولا شاردة الأ ردها اليهِ فبلغ في ذلك غاية ليس وراءها مذهب لطالب ولا مضرب لرائد

اما بقية موءلفاتهِ التي اتيت على ذكرها فقد تصفحت منها جانباً عظيماً فلم اجد — على قصر نظري — ارصف منها تعبيراً ولا امتن سرداً ولا اسدّ ضابطاً مع تنزه عن التعقيد وبعدٍ عن اللبس والاشكال . وكان اذا جلس الى المكتبة للمطالعة والتأليف يوجه جميع قواهُ العقلية الى الموضوع الذي يبحث فيهِ فلا يكتفي بما يأخذهُ من كتب القوم بل يزيد ويحذف ويبسط رايهُ مسنداً الى النصوص اللغوية فلا تأتي عبارتهُ الأ مستوفاة الشروط تتجلّى فيها آثار التحقيق

ولو كان لهُ حظ وافٍ من لغة اجنبية او لغة شرقية سامية غير العربية لكانت موءلفاتهُ اتم فائدة . ولكنهُ اكبّ على العربية وخصها ببحثهِ ولم يشأ ان يشرك معها لغة اخرى

وكان فوق ذلك كثير المحفوظ قوي الذاكرة بعيد النسيان لا يقرأ شيئاً الا يعيهِ على ظهر قلبهِ . وهذا ما اعانهُ على التفوق في اللغة العربية وجعلهُ قوي الحجة سريع الاستشهاد في كتابتهِ وحديثهِ . وقد ساجلتهُ مراراً في اللغة وسواها فكان يورد لي اقوال ابن سيده وسيبويهِ كأَنهُ يقرأُها امامهُ فيدهشني بصفاء ذهنهِ وشدّة عارضتهِ

واذكر مرة ان اديبين تناظرا في موضوع بياني واختلفا في تفسير نوع من التشبيه فاحتكما اليهِ فاجابهما على الفور بما حضرهُ من نصوص ايمة البيان في التشبيه وحكم بينهما فارتاحا الى اقوالهِ وانصرفا معجبين بهِ

منشئاً

كان يتحرى في انشائهِ طريقتين احداهما سهلة المأخذ واضحة المنهج رقيقة الالفاظ . والثانية صعبة المرتقى خشنة المركب . اما الاولى فكان يلجأُ اليها في تآليفهِ على ما سبقت الاشارة . وهذا كتابهُ (الشهاب الثاقب) فانهُ يشتمل على رسائل شائقة في موضوعات مختلفة وكلها موشاة ببرود البيان لما فيها من السجع المطرب والنثر المرسل الانيق مع خلو من التعقيد فلا التلميذ يستوعر مسلكها ولا اللغوي الاديب يجد فيها مطرحاً للنقد

واما الثانية فكانت لغة المناظرة وما شاكلها يعمد اليها في مساجلة نظرائهِ وفي مقدمات

مؤلفاتهِ . وقد نشر المقتطف وغيرهُ طرفاً من اسلوبهِ الانشائي ايام احتدمت المناظرة بينهُ وبين احمد فارس وسواهُ من اساطين اللغة . وهي تؤيد صحة ما قلتهُ من اجتهاد صاحب الترجمة في اختيار عويص الالفاظ . كما ان مقدمة معجمهِ تثبت ذلك ايضاً . وانما يعمد كبار المنشئين الى هذه الطريقة ليظهروا مقدرتهم اللغوية ويسوم الواحد منهم الاخر عنتاً او جهداً لعلهُ يقرعهُ

وكان سريع الخاطر في انشائهِ لكثرة محفوظهِ وجودة ملكتهِ . لا اقصد بذلك انهُ كان صحافياً لان الصحافة صناعة لم يكن للفقيد حظ منها . وكثيراً ما كان يقول لي اني استغرب مقدرة المحرر في الجرائد اليومية فهو يتنقل من موضوع الى آخر في حين واحد من غير ان تكلَّ قريحتهُ او يصدأ ذهنهُ

وانما اريد انهُ كان مجيداً في ترسلهِ بليغاً في كتابتهِ يميل الى السهولة والسلاسة ولا يعمد الى التعسف الاَّ اضطراراً

مدرساً

التدريس صناعة قائمة برأسها لا يضطلع بها الاَّ من كان مخلوقاً لها عالماً كان او غير عالم . وقد قضى الفقيد اعواماً طوالاً يزاول هذه الحرفة ولكنهُ لم يبلغ فيها الحد المطلوب ولا برع في التدريس كما برع في اللغة والانشاء والتأليف . فقد نقل اليَّ غير واحد من الذين درسوا عليهِ انهُ كان يسلك في شرح الدروس سبيلاً وعراً شائكاً لا يستطيع الطالب ان يمشي فيهِ خطوة واحدة . اي انهُ كان حين القائهِ الشرح يتمثل امامهُ رهطاً من كبار اللغويين فيتوسع ويتناول الشعَب والاطراف ناسياً ان امامهُ جماعة من الاحداث لا يعرفون من ذلك الدرس الاَّ ما يعلق بحافظتهم من الشرح . على انهم كانوا اقصر من ان يتناولوا شيئاً يخزنونهُ في صدورهم لان الشيخ كان يلقي عليهم بلغة لا يفهمونها ولا تنطبق على درجة افهامهم

ولكن المراهقين المدركين الذين كانت لهم ذخيرة سابقة من اللغة كانوا يستفيدون منهُ ويضيفون توسعاً الى ما يعرفونهُ . وكان من طريقتهِ في الشرح انهُ يرسل نظرة على الدرس ثم يفيض في الشرح بلا لجلجة ولا وقوف عند الموجود في الكتاب وهكذا كان التلميذ يضيع بين الاسهاب ووفرة الاستشهاد

شاعراً

لم يكن الفقيد شاعراً ولا ميالاً الى الشعر ولكنهُ كان ينظم ويقرض الشعر اذا دعت الحال . بيد ان نظمهُ — مع قلتهِ منسجم لا تبدو عليهِ مسحة التكلف الاَّ نادراً وان كان بعض

الاحيان سقيم التركيب قلق القوافي

فمن نظمهِ لما كان في دمشق عام ١٨٧٣ قولهُ في الخط

لولاكِ يا خطُّ لم يثبت ضياءُ حجى   ولا عرفنا شؤُون الاعصرِ الاولِ
فمن مواد مداد قد ظهرت بهِ   بدا لنا العلم مثل النور للمقلِ

ومن نظمهِ في الحكم بيتان نقشهما تحت رسمهِ سنة ١٨٨٩ وهما

يحاول المرءُ في الدنيا البقاءَ وما   تفوت قدرتهُ تصويرَ تمثالِ
والرسم يبقى زمانًا بعد صاحبهِ   دليل عجز وهاكم شاهد الحالِ

ونظم مرثية رثى بها احمد فارس الشدياق لما نقلت جثتهُ من الاستانة الى لبنان قال فيها

ان المنية انشبت بالكاتبِ   اظفارها فغدا صريع معاطبِ
قد كان يلعب بالعقول بيانهُ   لعب المدامة بالنزيف الشاربِ
ليس الجدال بمانعي من حقهِ (١)   واری رثاهُ اليوم ضربة لازبِ
ابقى الجوائب شاهداً من بعدهِ   يقضي لهُ بالحق دون مواربِ

وقال في مطلع قصيدة هنأ بها البطريرك بطرس الجريجيري بارتقائهِ الى الكرسي البطريركي

اخو ملكات الخير يخطبهُ الفضل   وذو الهمة العليا يشرفهُ الفعلُ
فهذا زمان فيهِ للذوق صحة   فما تستوي فيهِ البلادة والنبل

ونظم البيتين الاتيين تقريظاً لكتاب (تاريخ الصحافة العربية) الذي وضعهُ تلميذهُ الفيكونت فيليب افندي دي طرازي وكان ذلك في الحادي عشر من شباط عام ١٩١٢ ولعلها آخر ما نظمهُ من الشعر وهما

خطَّت يدي شعراً تكاد حروفهُ   من ذكر فيليب تفوح كعنبرِ
شهم افاض على الصحافة منةً   ببديع سفر مثل كنز الجوهرِ

فانت ترى ان شعرهُ على انسجامهِ لم يكن يخلو من مسحة الركاكة والابتذال لان الفقيد لم يكن مطبوعاً على الشعر وانما كان يلجأ اليهِ عند اقتضاء الحال

والداً

كان الفقيد رقيق العواطف حنونًا على بنيهِ تذوب جوانحهُ شوقًا الى مرآهم على ان

---

(١) كان بين صاحب الترجمة والمرحوم احمد فارس تناظر في اللغة حمي وطيسهُ حتى ظن كثيرون انها عدوان فاشار في البيت الى ان الجدال لم يمنعهُ من رثاء مناظرهِ وهذا دليل على ان الفقيد كان بعيداً عن الحقد كما سترى

ذلك لم يكن يصرفهُ عن تهذيبهم وتعليمهم · وقد رزقهُ الله غلاماً توفي صغيراً وثلاث بنات اشتهرت منهن اثنتان في عالم الادب والانشاء وهما انيسة وعفيفة ولكن الموت رمى الفتاتين بسهمين فاصماهما واذاب قلب والدهما حزناً عليهما فجمع مآثرهما القلمية في كتاب سماهُ (نفحة الوردتين) وقرظهُ العلماء والشعراء

وقد هزلت صحة الشيخ على اثر هذا المصاب حتى عاد لا يستطيع الكتابة والتأليف وكان لا يخرج من منزلهِ المعتزل الاَّ لتخفيف احزانهِ ولم يزل الهم ينحت من قلبهِ حتى قضى وفي نفسهِ حسرات على بنتيهِ لشدة ما كانت تطوي بهِ جوانحهُ من الحب لهما

صديقاً

يزعم البعض ان الفقيد لم يكن جميل الرعاية ولا وفيًّا بالعهد اما انا فقد خالقتهُ وخبرتهُ فوجدتهُ كما وجدهُ كثيرون من المنصفين وثيق الذمة حافظاً للعهد صحيح الدخلة مأمون الضمير اذا ابرم ميثاقاً مع شخص احتفظ بهِ واحكم عراهُ واذا انقلب الزمان فبات الصديق معادياً لهُ قابلهُ بالحلم والصفح وسحب على الهفوة ذيل الغفران يدلك على ذلك انهُ لم ينفر من رثاء احمد فارس الشدياق على ما تقدم بيانهُ مع ما كان بينهما من المناظرات اللغوية التي حمي وطيسها

ويقال في صفاتهِ على وجه الاجمال انهُ كان عفيف النفس شريف المبادئ حريصاً على صداقة اصحابهِ حرصهُ على اوضاع اللغة العربية متمسكاً بعرى الدين طيب القلب رحب الصدر دمث الاخلاق سليم الطوية لا تشوب سريرتهُ شائبة الحقد والضغينة بل كان قلبهُ اصفى من مرآة الحسناء

وقد صادقتهُ اعواماً فلم تزدني الايام الاَّ اعجاباً بمروءتهِ ورسوخ مودتهِ وكنت آتي في عرض حديثي معهُ على من اظنهم خصومهُ لأعلم حكمهُ عليهم فلم اكن اسمع منهُ الاَّ العبارات الدالة على طيبة القلب وعفة اللسان · ولست انا وحدي قائل هذا القول بل ان كثيرين غيري من تلامذتهِ ومن كانت لهم صلة بهِ يؤيدون كلامي ويثنون على صدق الفقيد في عهودهِ

هذا ما عرفتهُ من تفصيل احوال فقيد اللغة صاحب الترجمة اوردتهُ مع الامانة والنزاهة وبسطتهُ على صفحات المقتطف تخليداً لذكر الفقيد وايفاء لحقهِ رحمهُ الله وبرد ثراهُ ونفعنا بعلمهِ

بيروت رشيد عطيه

آثار العرب الخالدة في اوربا

(تابع ما قبلهُ)

كيف وصل المسلمون الى اوربة ؟

بقطع البحر الفاصل بيننا و بينها

هذا البحر الذي نسميهِ الآن بالبحر الابيض المتوسط والمعروف عند الاتراك ببحر سفيد من كلمة فارسية معناها الابيض . ولقد كان يسمَّى بالبحر المتوسط لتوسطهِ بين اراضي افريقية وآسيا واوربة (Méditerranée) واسمهُ المشهور عند اسلافنا ايضاً بحر الروم وبحر الشام . ولو انهم سموهُ بالبحيرة الاسلامية لكانوا قالوا حقاً واثبتوا صدقاً . وقد امتلكهُ المسلمون وامتلكوا ما فيهِ من الجزائر مثل : مَيُورقة ومنُورقة (وهي المعروفة الآن بجزائر الباليار (les Baléares) وكان الاندلسيون يسمونها بهذين الاسمين وباسم الجزائر الشرقية او الجزائر فقط . واما القطر الجزائري المشهور Algérie فاسمهُ عندهم مأخوذ من اسم عاصمتهِ Alger (جزائر بن مزغنه او بني مزغونة) ثم صقلية وقورسقة واقريطش (المعروفة الآن باسم كريد) . وكل هذه الجزائر كانت الحضارة الاسلامية فيها باهية باهرة زاهية زاهرة

اما الجزائر الصغرى فكان شأنها كذلك مثل قبرس ورودس ومالطة . وآثار الاسلام في هذه ايضاً باقية للان

ولعلكم ترتاحون الى العلم بان مالطة كانت سوق الادب العربي فيها رائجة. كان صاحبها اسمهُ القائد يحيى صنع لهُ احد المهندسين صورة تعرف بها اوقات النهار بالصنج فقال ابو القاسم بن رمضان المالطي لعبد الله بن السمط المالطي اجز هذا المصراع فقال

جاريةٌ ترمي الصَّنجْ بها النفوس تبتهجْ
كأنَّ من احكمها الى السماء قد عرَجْ
فطالع الافلاك عن سرّ البروج والدرَجْ

اما بحر الارخبيل وجزائرهُ فلم يدخلا في حكم العرب بصفة اكيدة حقيقية انما كانوا يغيرون فيهِ عليها من حين الى حين تبعاً لعلاقاتهم مع الروم صلحاً وهدنة وحرباً . هذا البحر هو بحر الارخبيل او بحر هيجاي Egée فانتم ترون انهُ شيء وبحر سفيد شيء . ولا عبرة بما يرد في هذه الايام في كثير من الجرائد اليومية العربية بمناسبة الحرب الحاضرة والكلام

على الارخبيل وجزائرهِ العثمانية . فان الذين وقفوا انفسهم على الترجمة فيها قد وقفوا عند ما رأوا بحر Egée فاغتروا وغرروا بالقارئين اذ قالوا : بحر سفيد . اطلقو على هذا البحر اسم « سفيد » لان اللفظ اصبح غير متعارف في مصر وظنوا انهم افادوا وأدوا الامانة حقها . فكانوا مصداقاً جديداً للمثل السائر عند الطليان وهو « Traduttore Tradittore » ويصح لنا ان نترجم ذلك مع التساهل ومراعاة ملكة اللسان المصري بقولنا « المترجم مبرجم » والبرجمة غلط الكلام

فاملي ان تصل كلمتي هذه الى ارباب الاقلام فلا يعودون الى مثل هذا التخليط

⁂

قلت لكم يا سادتي ان المسلمين عبروا البحر فامتلكوا جزائرهُ وجعلوها قواعد لارتكاز اعمالهم في الفتوح كما هو شأن سائر الجزائر اليوم مع الدول العظمى . ومنها ذهب المسلمون الى اوربا فامتلكوا ما قدروا عليهِ واحتلوا ما تيسر لهم واغاروا على ما ارادوا

ذهبوا بأساطيل مؤلفة من « الجواري المنشآت في البحر كالاعلام » . تلك الاساطيل التي تغنَّى بها شعراؤُهم بما لاحاجة للاشارة اليهِ الآن لئلاَّ يتشعب معنا الكلام فيخرج عما يقتضيهِ المقام . وانما اردت لفت الانظار الى ان الدول التي تريد اعلاء كلمتها وحفظ بيضتها لا بد لها من امتلاك ناصية البحار وذلك لا يكون الاَّ بتلك الحصون الشامخات الماخرات المتمخرات . فان البحر لهُ الشأن الاكبر في رفع شأن الدول وسلاطة بعضها على بعض بحق وبغير حق . وحسبكم ما هو حاصل الآن بين سمعكم وبصركم في البحر الابيض المتوسط وفي بحر الارخبيل بل وفي البحر الاحمر المعروف في كتب الجغرافيا العربية ببحر القلزم نسبة الى مدينة القلزم (Clizma) التي قامت مقامها وعلى القرب منها مدينة السويس

اخذ العرب عن اليونان اسم الاسطول للدلالة على مجموع السفن التي تباشر الحرب في البحر كما اخذنا نحن الآن عن الافرنج كثيراً من اصطلاحاتهم البحرية . ومن ذا الذي ركب منكم البحر ولم يحتجز قمرة في الباخرة ؟ هذه القمرة هي طليانية المنبت والمحتد Camera ومعناها الغرفة والحجرة . فان هي الا معاوضة ومقابضة كما ان البحر اذا انحسر عن البر من هنا طغى على الشط المقابل لهُ في ناحية اخرى . ناموس عامٌّ تتجلى ظواهرهُ في كل اعمال الانسان وفي سائر احوال العمران . كذلك كان شأن الافرنج منذ قرون . ولقد بقيت الاسماء العربية متعارفة عندهم وفي كل لغاتهم . وليس لهم سبيل الى تبديلها بغيرها . اذكر من ذلك مثالاً واحداً لانهُ الاس وبمثابة الرأس

فلفظة اميرال عربية الاصل وهو عندنا امير الماء كما تراهُ في موسوعات النويري · بتر القوم النصف الاخير من باب التلطيف والتخفيف كما هو شأننا ايضاً في تعريب الكلمات الاعجمية . وقد جئنا الآن فجاريناهم على التعبير بهذا الحرف وبما تركب منهُ فنحن نقول : اميرال كنتر اميرال ڤيس اميرال

من هو اول اميرال مسلم ؟

هو العلاء بن الحضرمي الصحابي الجليل عليهِ رحمة الله · فهو اول مسلم ركب البحر للغزو وكان ذلك من جهة الشرق في الخليج الفارسي من جهة عمان والبحرين

واما اول اميرال مسلم ركب بحر الروم للغزو فهو معاوية بن ابي سفيان حينما كان عاملاً على الشام في خلافة عثمان بن عفان

ثم ان المسلمين شغفوا بالجهاد في البحر وامتلاك بعض جزائرهِ

والذي يهمنا بصفتنا مصريين هو ان نعرف ان اول تأسيس دار الصناعة كان في جزيرة مصر (الفسطاط) في سنة ٥٤ هجرية وان الاسطول بمعناهُ الحقيقي كان انشاؤُهُ للمرة الاولى في مصر في ايام عنبسة بن اسحاق والي مصر باسم الخليفة المتوكل العباسي (الذي سنذكرهُ بمناسبة المنجنيق عما قريب) وكان ذلك في سنة ٢٣٨ · وكانت مصر انما تصدُّ باسطولها غارات الروم وغيرهم من امم اوربا · واما الهجوم فلم يكن من شأنها الاَّ في حالة العدوان عليها · وذلك لانها من حيث الفتح والتوسع في الاستعمار ما كانت تطمح في غير رودس وقبرص · والسبب في ذلك انها تركت امر الجزائر الاخرى للبلاد الاسلامية القريبة منها

فكانت تونس توجه همتها البحرية الى صقلية وسردانية · وكان المغرب الاقصى متكفلاً بجزائر ميورقة ومنورقة ويابسة Iviça, Iviza, Ibiza وشطوط الاندلس وسواحل فرنسا

ولكن تونس سبقت مصر في اتخاذ الاساطيل في ايام عاملها حسان بن النعمان بامر الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ للهجرة

بلغت الاساطيل الاسلامية من الجلالة انهُ كان لا يدخلها « غشيم — على قول الامام المقريزي — ولا جاهل بامور الحرب وكان لخدامها حرمة ومكانة · ولكل احد من الناس رغبة في ان يُعَدَّ من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيهِ · » وقد افادنا ان العناية بالاساطيل الاسلامية في مصر انما قويت منذ قدوم المعز لدين الله اليها وكان المقدم على الاسطول امير كبير من اعيان امراء الدولة واقواهم نفساً (وهو الاميرال) وكان الاسطول

يزيد في ايام المعز على ثمانمائة قطعة ثم اخذ في الانحطاط ولكنهُ لم ينقص قط عن مائة قطعة وكان الخليفة يحضر بنفسهِ تجهيز الاسطول وتفريق النفقة على رجالهِ · حتى اذا تهيأ للاقلاع ركب الخليفة الى منظرة المقس (محل جامع اولاد عنان الآن) لتوديعهِ باحتفال باهر فيكون لهُ يوم مشهود يزيدهُ بهاءً ورواءً حركات الاسطول المعروفة الآن بالمناورات البحرية (Les Manœunres navales) وقد بلغ من عنايتهم بالاسطول ان دار الصناعة في مصر ما كان يدخلها احد راكبًا الاَّ الخليفة ووزيرهُ وذلك في يوم الاحتفال بفتح النيل اي جبر الخليج الذي انطمس الآن وصار طريقًا للترمواي

كان للاسطول في ايام صلاح الدين ديوان مخصوص يسمى ديوان الاسطول وسلمهُ لاخيهِ الملك العادل · فكان هذا الديوان يشبه ما كان معروفًا في ايام محمد علي بديوان البحرية وما هو معروف في ديار اوربا بنظارة البحرية · وهو الآن صفر في مصر فلا عين ولا اثر

وكانت اسكندرية ودمياط هي الموانئ الحربية البحرية في ديار مصر · اضف اليها مدينة تنيس التي هي الآن خراب بلقع · واما الفسطاط (مصر القديمة) وقوص من اعمال الصعيد فكانتا من اعظم الموانئ النيلية وفيها يكون انشاء السفن الحربية التي ترابط بتلك الثغور وتذهب للغزو في البحر لاجل اعلاء كلمة مصر وجعل رايتها خفاقة في الخافقين

ما هي القطع التي كان يتألف منها الاسطول في الدول الاسلامية

هي الاعواديات والاغربة والبركوشات والحراريق (او الحراقات) والشَّلَنْديَّات والمسطحات · ويتبعهُ سفائن اخرى تجيءُ في المرتبة الثانية من الاهمية وان كانت حاجتهُ اليها شديدة · وسنتكلم عليها عما قريب

سارت الاساطيل الاسلامية باسم الله مجراها ومرساها فارست على سواحل الجزر وشطوط اوربا · والقت مراسيها وهي الاناجر جمع انجر لفظة يونانية عربوها فقال الفرنسيون Ancre واشتقوا منها المصدر Ancrer ثم ربط العرب مراكبهم بالحبال الغليظة وهي الامراس والمرار جمع مر- فسمى الطليان ذلك الحبل Amarra وتوسع فيهِ الفرنسيون فقالوا Amarrer' و Amarrage، مثل ما صنع العرب حينما قالوا امرَّ السفينة او الشيء بمعنى ربطها بهذا الحبل الغليظ القوي المتين ·وعلى ذكر الحبل اذكر بانهُ هو و Cable الفرنسية بمعنى واحد وان اللفظة الثانية مأخوذة عن ذلك الاصل العربي

ولا يسعني ان اتجاوز الشط واتتبع العرب في سيرهم قبل ان اقول انهم حينما استقرت قدمهم بالسواحل انشأوا فيها دور الصناعة على مثل ما ذكرنا في مصر وتونس فقال الطليان في

اول الامر Darsena اي دار الصناعة فكان مثلهم في ذلك مثل اهل اسبانيا والبرتقال · ثم قال الطليان Tarzana ثم Arzana ثم Arzanale ثم Arsenale واستمروا على هذا اللفظ الاخير الى يومنا هذا ومنهُ كلمة الفرنسيين Arsenal

فلما جاء محمد علي وتقلد امر مصر واراد احياءها رأى ان ذلك لا يتم الاّ بانشاء الاسطول · فاستحدث دار الصناعة في الاسكندرية وانشأ الاسطول واستخدم في ذلك كثيراً من الاتراك والطليان وغيرهم من بني الاصفر فلذلك جارى اجدادنا الاقربون هؤلاء الاقوام فاستردوا منهم كلمتيهم العربية البحتة المحتة المحضة ولكن مصبوغة بلون افرنكي ضاعت معهُ معالمها الاصلية فقالوا كما قال الترك « ترسانة» بل ترَّكها بعضهم اكثر من الترك انفسهم فقال « ترسخانة » من باب المبالغة في التضليل وتعفية الآثار الاصلية · وقد استحكمت هاتان الكلمتان في استعمال الخاصة والعامة حتى لا سبيل لاقتلاعها او الاقلاع عنها مع ان الطليانيين لا يزالون الى اليوم والى ما بعد اليوم يقولون Darsena ولكن للدلالة على القسم الداخل في جوف المينا حيث يربطون السفن المحتاجة للتعمير بعد نزع آلاتها وجهازاتها

ما هي الوظيفة الاساسية لدار الصناعة ؟

انشاء السفن واصلاح ما عساهُ يحدث فيها من العوار

اخذ الافرنج الكلمة الثانية وصنعوا منها كلمة Auarie ثم اطلقوها ايضاً على جميع انواع العوار في السفن والسلع وغير ذلك

ومن المعلوم ان انشاء السفن يدعو الى ما نسميهِ نحن الآن « بالقلفطة » على يد « القلفاط » · فهذان اللفظان نالهما ما نال دار الصناعة فانهما معربان عن اللغات الاوربية التي اخذتها عن اللغة العربية وهذا كما ترى

رأى اجداد الافرنج عملة المسلمين يشتغلون في دور الصناعة بالقلافة فيقلفون المراكب فقالوا Calfa من فعل « قلف » العربي ثم اضافوا اليهِ علامة المصدر في لغتهم بعد زيادة حرف التاء للتوسل للنطق بين ساكنين كما يقولون في حالة الاستفهام (A-t-il ?) قال في تاج العروس : قلف السفينة قلفاً خرز الواحها بالليف وجعل في خللها القار (الزفت) والاسم القلافة بكسر القاف · افليس هذا هو الذي يفعلهُ القلفاط يا ابناء السيالة ويا اولاد الانفوش ؟ فانتم في ذلك شهود عدول

كل اسطول لا بد لهُ من سفائن تحمل الزاد والمتاع والكراع · فمنها التي نسميها اليوم « بالنقالات » Transports اما الاساطيل الاسلامية فكانت تخدمها القراقير جمع

قرقور اخذ الطليان هذا اللفظ فقالوا Carraca وقال الفرنسيون Carraque . لا تعجبوا من التباعد بين الاصل والفرع فان الانتقال من لغة الى اخرى يأتي بما هو اشد وابعد « ولتعلمنّ نبأهُ بعد حين » . فانكم اذا علمتم ان البرتقاليين يقولون في تسمية هذه السفينة Carcora ثبت لكم صدقي . واسترجعنا اللفظ منهم في هذه العصور الحديثة ولكن مفرنجاً فقلنا كراكة من قول الطليانيين Carraca ولكن بمعنى آخر لنوع آخر من السفن التي تستعمل لنزع الطين والرمال من قاع النهر والترع والخلجان ومن قاع الموانى والمعابر البحرية في نظير المركب المسمى عند الفرنسيين Drague

وكان لا بد لكل اسطول من سفائن خصوصية لحمل الخيل وهي التي تسمى بالطرائد جمع طريدة (وذلك خلاف الطراد وجمعهُ طرادات) . اخذ الافرنج هذا الاسم فقال الطليان Tarida ثم Tareta وقال الفرنسيون Tartane ولكن للدلالة على سفائنها الشراعية التي تمخر في البحر الابيض المتوسط غرباً

من توابع الاسطول الفلائك جمع فلوكه فقال الطليان feluca وقال الفرنسيون filauque وكذلك الشباك فقال الطليان Scibecco والفرنسيون Chebec ومن توابعهِ القوارب فقالوا Corvette من اللفظ المقرر وهو قارب وربما يصح القول بانهم اخذوهُ من غراب وترجمتهُ باعتبارهِ سفينة حربية Galère

بقيت عليّ كلمة بشأن الشلنديات التي ذكرتها في اسماء مراكب الاسطول . فمفردها شلندى (ولا ادري ما اصلهُ في العربية) فقال اللاتينيون Chelandime . واخذهُ الروس فقالوا Schelanda وقال الطليان Scialando والفرنسيون Chaland واسترجعناهُ منهم بطريق التعريب والتقريب والتمثيل والتأهيل فقلنا « صندل » . واصبح هذا الاسم بتحريفاتهِ عندهم وعندنا علماً على السفائن المخصصة لنقل البضائع مثل المواعين جمع ماعونة التي قال فيها الفرنسيون Mahonne والطليان Mahona و Maona و Magona

ارجعوا بنا قليلاً الى البحر فان الاسطول قد تصادفهُ الرياح بما لا تشتهيهِ وقد تعاكسهُ الامواج فيلقى النوتية او النواتية Nautonniers منهُ الامرين . وهول البحر وهولتهُ يعرفها كل من اقتحم لجتهُ . فالملاحون يسمون اضطراب الموج الشديد بالهول وبالهولة فقال الفرنسيون في ذلك houle للموج المتعالي كالجبال وقد تعاكسهُ الريح التي تهب من الجنوب الشرقي فبقي الاسم الثاني في ذاكرة الافرنج فقال الطليان Scirocco و Sirreco ثم Scilocco واما الفرنسيون فاطلقوا عليهِ Sicocco ثم Sicoc وكل ذلك مأخوذ من الشرق والشروق

اما رياح الموسم فيسميها الفرنسيس Mousson والطليان Monsone . ولا تعجبوا لوضعهم النون بدل الميم في آخر الكلمة فلهم في التبديل شيء كثير من هذا القبيل . وحسبنا انهم جميعاً يسمون مدينة سواكن Souakim . فلنأخذ النون من هناك ونضعها بدل الميم هنا لنرد كل شيء لأصله . لان كلمة rendre وrendere عند الفرنسيين والايطاليين مأخوذة من الاصل العربي وهو الرد ولا عجب فان اللاتينيين قالوا Redd-ere باضافة علامة المصدر فزاد الطليان والفرنسيس نوناً من عندهم وليس لنا في ذلك شأن معهم . ولكنهم عند نحت الاسم يردون الكلمة الى جرثومتها العربية فيقولون في تقديم الحساب وفي تسليم الحصون reddition des comptes, reddition d'une place fortifieé

نعود الى الاسطول ونقول انهُ بعد ان لقي من البحر ما لقي دخل الى المينا ولعدم خبرة الربان اصطدم بشعب فقال الافرنج في ذلك récif تشبيهاً لهُ ببروز الرصيف في الشوارع والطرقات التي انشأها العرب في ما بعد بتلك البلاد . ثم دخل الاسطول الى المينا في كلاءِ الله وحفظهِ وفعل ما سنأتي على بيانهِ . وصل الى المحل الذي يأمن فيهِ من عبث الرياح وثوران الامواج وهو الموضع الذي يسميهِ الاسبانيون والبرتقاليون Cala والفرنسيون Cale وقد استعملهُ الفرنسيون ايضاً لجوف السفينة وهو الاستعمال الشائع في لغتهم الآن . الفاظ اصلها مشتق من كلمة كلاً العربية بمعنى حرس وحفظ وهذا كما ترى

ماذا صنع الاسطول ؟

اصطف للقتال ونصب المنجنيق . هذه كلمة يونانية استلحقها العرب واضافوا اليها النون الاولى لتدخل في اوزانهم

عادة المغاربة جرت بانهم لا يضعون نقط الاعجام فوق الفاء والقاف وتحت الياء متى كانت هذه الحروف مفردة او في آخر الكلمات اذ في هاتين الحالتين لا يمكن حدوث التباس ما بينهما وبين ما يشابهها من الحروف الاخرى . فلو تصورنا ان بعضهم كتب اسم هذه الآلة الحربية على هذا المثال « منجنيٯ » وفرضنا ان ذيل الحرف الاخير انطمس بسببٍ ما فاصبح « منجنيو » فاننا لو اردنا ان نرسمها وهي على هذا الشكل بحروف افرنكية لتحصلنا على mangonneau منجنيو وبنطقهم منجنو بغير تشديد النون وان كانت مكتوبة مرتين وهو الاسم الذي اطلقهُ الفرنسيون على المنجنيق

⁂

اتعبتكم بذكر البحر والحرب وانتم اهل السلام فهل تحبون الذهاب الى العراق والدخول

بسلام في مدينة السلام مدينة ابي جعفر اعني بغداد ؟

كانت مدينة ابي جعفر المنصور جنة الدنيا في عهد هارون والمأمون وخصوصاً في ايام المتوكل . وكان فيها شاعر يسمَّى ابو العبر لهُ احوال عجيبة وامور غريبة وكان من المجّان الذين يقل نظيرهم في الدنيا . وقد تكفلت كتب التواريخ والادب بشرح اموره . كان يزيد في كل سنة حرفاً في اسمهِ حتى انتهى الى : ابي العبر طرد طيل طليري بك بك بك . كان المتوكل يلبسهُ قميصاً من حرير ثم يرمى بهِ في المنجنيق الى نهر دجلة فمتى حذفهُ المنجنيق في الهواء صاح : الطريق الطريق (كما نقول الآن وسع وسع) ثم يقع في الماء فيأتي السبّاح ويستخرجونهُ وكان في احد قصور المتوكل زلاقة ما اشبهها بالتوبوجان Tobogan الموجود الآن في مصر الجديدة (واحة عين شمس) . فكان الخليفة يأمرهُ بالجلوس عليها ومن هناك ينحدر ساقطاً من فوق الزلاقة حتى يقع في البركة فيطرح الخليفة الشبكة فيخرجهُ كما يخرج السمك . وفي ذلك يقول شاعرنا

ويأمر بي الملك فيطرحني في البرك
ويصطادني بالشبك كأني من السمك

⁂

فعل المنجنيق بالحصون افاعيلهُ وتم لهُ النصر فخلا البر للعرب فنزلوا وقاتلوا وفازوا ثم شنوا الغارات على الاقطار النائية تمهيداً للتسلط عليها فقال اصحابنا Algarade في الغارة وقال الاسبانيون في المغاورين Almogavarès ولا يزال اهل ايطاليا يقولون Mugauero للدلالة على الجندي وعلى المزراق الذي يحملهُ . وقالوا في الغازي Alguazil (وذهب بعضهم الى انها مأخوذة من الوزير) . ولا عجب من اضافة الجيم في هذه الحالة الثانية فانهم يضيفونها على جميع الكلمات العربية المبدوءة بحرف الواو فيقولون في الوضوء Alguado وفي الوادي الكبير Guadalkivir وهكذا . ومن كلمة Alguazil اشتق الفرنسيون قولهم Argousin لحارس المذنبين المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة

ورأوا العرب يستعملون السبطانة وهي آلة لرمي البندق ولصيد الطيور فقال الاسبانيون Cerbatana و Sebratana والبرتقاليون Sarabatana و Saravatana واما الطليانيون فقالوا Cerbottana واقتصر الفرنسيون على Sarbacane وربما كان من هذه الجرثومة قول الاسبانيين Zarabande وقول الفرنسيين Sarabande

ورأوهم يستخدمون القاطعة وهي نوع من السكاكين فقالوا Couteau وربما كان هذا

اللفظ مأخوذاً عن قول العرب : قُطَّ بمعنى اقطع من قطَّ يقُطُّ قُطًّا

اما الخنجر فقال الطليان فيهِ Cangiaro والفرنسيون Alfange وعلى ذلك قول شاعرهم

De nos honteux soldats les alfanges errantes,
A genoux ont jeté leurs armes impuissantes.

وقالوا في الزغاية وهي نوع من الحراب العربية : Zagaie

تجتمع العساكر عادة على صوت البوق ولكن الاسبان حينما اخذوا هذه الكلمة ونقلوها الى لغتهم قالوا Albogue لزمارة الراعي

ومتى اجتمعت العساكر للعرض والتمرين فان الفرسان تختال بخيولها . وقد يختال الفرس فيدور على نفسهِ ومن ذلك قول العرب كركر الفرس . اخذ الفرنسيون ذلك اللفظ فقالوا Caracoler وما اجمل امرء القيس حين وصف الفرس بشطرة واحدة كل كلمة منها تدل على حركة مخصوصة وتجعل السامع يتخيلها واقعة حاصلة بحضرتهِ قال :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطهُ السيل من عل

وكانت السهام في ذلك الوقت هي التي يترامى المتحاربون بها . ولا يزال العرب مشهورين باصابة الهدف والغرض والقرطاس . فقال الفرنسيون في هذا المعنى Cible من كلمة قبلة ولا ازيدكم علماً بان السهام توضع في الكنانة وهي الجعبة . غير ان اشتباك العرب بالفرس والترك جعلهم يختارون كلمة من غير لسانهم وهي التركاش بهذا المعنى فقال الطليان Turcasso ثم قالوا Carcasso كما قال الاسبان Carcax وكما قال البرتغاليون Carcas والفرنسيون Carquois . وانتم تعلمون ان الفرنسيين كانوا الى عهد قريب ينطقون بحرفي oi كما ينطقون بحرفي ai ولكنهم عدلوا عن كتابة oi في امثال هذا المقام وابقوا Carquois على حالها رسماً ونطقوها بالنطق الجديد فلذلك صار بينها وبين اصلها العربي بون بعيد

⁂

الى هنا وضعت الحرب اوزارها فاستقرت قدم الفاتحين وعرضوا جيوشهم تخفق فوقها الرايات والاعلام والبنود . فاخذ الفرنج هذه الكلمة الاخيرة فقالوا في بند المعربة عن الفارسية Bande دلالة على الجماعة المنضوين تحت لواء واحد ثم اطلقوها من هذا القيد . وقال الطليانيون في ذلك Bandière والفرنسيون bannière واخذنا عن الطليانيين كلمتنا مطلينة فنحن نقول الآن بنديرة

ماذا كان لون راياتهم ؟

كان تبعاً لشعار الدولة القائمة في دمشق او بغداد او القاهرة . فشعار بني امية من

الالوان الخضرة في الملابس والبياض في الرايات . اخذوا ذلك عن اللون الذي كان يعتم بهِ النبي صلى الله عليهِ وسلم . واما بنو العباس فشعارهم السواد في الحالتين . اخذوا ذلك فيما يقال عن اللون الذي اختارهُ رسول الله يوم حُنَين و يوم فتح مكة . فانهُ عقد لعمهِ العباس راية سوداء . وقيل ان ذلك يرجع الى حزنهم على ابراهيم بن محمد اول القائمين بالدعوة العباسية . فان مروان بن محمد الجعدي المنبوذ بالحمار (وهو آخر بني امية) حينما ضيق عليهِ الخناق قال الرجل لشيعتهِ: « لا يهولنكم قتلي . فاذا تمكنتم من امركم فاستخلفوا عليكم العباس» فلما قتلهُ مروان لبس اشياعهُ كلهم السواد حداداً وحزناً عليهِ حتى اذا صار اليهم هذا الامر اعني الخلافة جعلوا السواد شعارهم في كل امورهم . وكانت جنودهم تعرف باسم المُسَوِّدة . فكانت المسوِّدة تتقاتل مع المُبيِّضة (اي لابس البياض من المواليد للامويين) وكان الناس على فريقين بعضهم يسوِّد وبعضهم يبيض حتى عم السواد سواد العراق وخفق على جميع الآفاق . اللهمَّ الاَّ في الاندلس فانها عادت اموية بفضل عبد الرحمن الداخل . وكان شعارها الخضرة في الرايات كما يراهُ الانسان في البقايا المحفوظة الى الآن في دور التحف بمدريد وغيرها من امصار اسبانيا

ولقد تغالى الاندلسيون ايام دولتهم في كراهة السواد حتى انهم لم يستعملوهُ في الحزن والحداد . فكانوا يلبسون الثياب البيض فقط في الحداد لئلاَّ يتشبهوا بالعباسيين في شيء ما حتى عند وقوع المصائب و كوارث الايام

ولقد تجددت في هذه الايام ذكرى الاندلسيين في حدادهم على يد غادة من فتيات امريكا وهي تظهر انها متبرعة للبس البياض في حالة الحداد . اشير الى ارملة الخواجه استور صاحب القناطير المقنطرة من الدنانير والملايين المملينة من الذهب الوهاج

فان زوجها غرق حديثاً في الباخرة تيتانك Titanic وهي لا تزال في ربيع العمر وريعان الشباب . فرأت من الواجب عليها ان لا تشوه محاسنها بلبس السواد على ما جرت بهِ العادة الشائعة الآن في جميع اقطار العالم . فاختارت البياض

فمن لي بتعريفها بانها ليست من المجتهدات وانها انما كانت لعرب الاندلس من المقلدات؟

ومن غريب ما يتعلق بالسواد والنساء ان الظافر خليفة الفاطميين بمصر لما قتلهُ وزيرهُ بعث نساء الخليفة بشعورهنَّ الى الصالح طلائع بن رُزِّيك وهو يومئذٍ بمنية ابن الخصيب (اعني انهُ كان مدير المنيا بحسب اصطلاحنا الاداري الآن) فاسرع لنجدتهنَّ . ورأى ان يستميل الامة المصرية واجنادها اليهِ لاجل اغاثة الحريم والدفاع عن بيضة الخلافة .

فعقد تلك الشعور على رؤُوس الرماح (كما هو الحال الآن في وضع جدائل الشعر فوق المزاريق التي يعتقلها الرماحة في اوربا وفي مصر) واقام الرايات السود من باب الحزن على الخليفة المقتول وعلى ما حل بالقصرين وساكنات القصرين من بيت الخلافة واعلاناً بالحرب لاخذ ثار الظافر . فدخل القاهرة على هذه الصورة . فكان ذلك من الفأل العجيب وهو ان مصر انتقلت الى المسودة (بني العباس) ورجعت الى حكمهم بعد ذلك بخمسة عشر سنة في ايام العاضد آخر الفواطم وعلى يد صلاح الدين الذي يسميهِ الافرنج كلهم Saladin فكان السواد شعارها الرسمي تبعاً لراية امير المؤْمنين Miramolin

حتى جاءت دولة المماليك فصار لون الرايات هو الاصفر . كانت لهم راية سلطانية كبيرة صفراء مطرزة بالذهب وعليها ألقاب السلطان . و بعدها راية عظيمة صفراء ايضاً وفي رأسها خصلة من الشعر وهي التي تسمَّى بالجاليش . ويتلو ذلك رايات صُفر صغار تسمَّى السناجق

فلما جاءت الدولة العثمانية صار اللون الرسمي هو الاحمر يتوسطهُ الهلال المحبوب الذي ترمقهُ العيون وتلتف حولهُ القلوب . فلنقف الآن تحت الهلال ونترك البقية الباقية لمحاضرة او محاضرات تالية ان شاء الله

احمد زكي

[المقتطف] بعث الينا سعادة الخطيب بنسخة منقحة من خطبتهِ بعد ان طبعنا الجزء الاول منها في المقتطف الماضي فرأَينا ان نذكر هنا بعض الحواشي التي علقها على ذلك الجزء فقد علق على كلمة المعز الواردة في السطر التاسع من الصفحة ٣٦٣ ما نصهُ «هو الخليفة الفاطمي الذي اسس القاهرة والجامع الازهر على يد قائدهِ جوهر» وعلى كلمة صلاح الدين ما نصهُ «هو رأس الدولة الايوبية ومؤَسس المدارس الكثيرة بمصر والشام» وعلى كلمة الظاهر ما نصهُ «هو السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري الشهير بفتوحاتهِ وبما انشأَهُ من دور الكتب بمصر والشام» وعلى كلمة الناصر ما نصهُ «هو السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون اجل سلاطين الديار المصرية الذي شمل برعايتهِ اهل الفنون والعلوم والذي ظهرت في عهدهِ اكبر الموسوعات العربية للنويري والعمري» . وعلى كلمة المؤيد «هو السلطان المؤيد المحمودي الذي كان مغرماً باقتناء نفائس المصنفات . وهو من اكبر انصار العلم وقد اشتهر بالاطلاع الواسع حتى لقبهُ التاريخ بلقب شيخ» . وعلى كلمة الاشرف ما نصهُ «هو السلطان الملك الاشرف قايتباي الذي ازدانت القاهرة في عصرهِ باجمل الآثار الفنية البديعة في سائر انواع الطراز العربي حتى اصبحت القاهرة في عصرهِ كعبة يحج اليها العلماء وجنة زاهرة لارباب الفنون الجميلة»

هرم تمدن الشرق وشباب تمدن الغرب

اذا حلَّقتَ في سماء الخيال واشرفت على الشرق والغرب ظهر لك الشرق بصورة رجل شيخ حنَى قناتهُ « الزمان » واصبح خائر القوى لا يسير الاَّ بعكازةٍ يعتمد عليها خوفاً من السقوط . اما الغرب فيتجلى لك بصورة رجل شاب غض الإِهاب جديد القوى معتدل القامة جل همهِ اظهار قواهُ الادبية والعقلية لمن يحيط بهِ دلالةً على ما فيهِ من النشاط والسعي

كان الشرق يوماً شاباً كما يرى الغربُ في هذا اليوم الاَّ ان سير التمدن على توالي السنين قضى عليهِ ان يشيخ فيبلغ هذه الدرجة من الضعف والعجز. واذا فكرت في التمدن رأيت نورهُ لم ينقطع في عصرٍ من العصور فهو يشع تارة في صقع وطوراً في بلد مرة في الشمال واخرى في الجنوب حيناً في الشرق ووقتاً في الغرب . ألم تتذكر حضارة الامم الخالية حضارة العيلاميين والمصريين والاسرائيليين والاشوريين والكلدانيين والبابليين والفينيقيين واليونان والروم والعرب وما انتج كل قوم من العلم والصناعة والادب والسياسة والتدبير ؟ كل ذلك جاء شيئاً بعد شيء وفي وقتهِ حتى اتصل بعمران اهل الغرب فاصبح اليوم جباراً عنيداً عبل الذراعين جم القوى يستضعف من حواليهِ ويستنزلهم في الميدان

نعم ان حضارة هذا العصر قد تبدلت كل التبدل منذ القرن التاسع عشر واصبح فيهِ قوم الغرب غير ما كانوا عليهِ سابقاً . انظر الى دعاتهم وسياحهم وروادهم وتجارهم وعلمائهم وعمالهم وصناعهم وساستهم تجدهم يجوبون البلاد ويعملون عملاً واحداً وهو تهذيب الامم وسوقهم الى مصدر الخير الاعظم والسعادة القصوى . واما قوتهم الحربية فهم لا يتخذونها الاَّ اذا الجأتهم الضرورة اليها أو لم يبقَ في قوس الصبر منزع وحينئذٍ يتصرفون بها ليثبتوا الامن والراحة على اسس متينة او على دعائم مكينة . وهم يحكمون عقد عراها بواسطة تحالف او تعاهد يجمعون بهِ بين دولةٍ ودولةٍ . ولهذا قلَّت في ازماننا الفتوحات والغزوات والحروب بينما كانت في العصور السابقة آخذة بعضها ببعضٍ في جميع بلاد الله لا تنقطع سنة من السنين

اصبح الغرب في هذا اليوم في سير حثيث الى الحضارة بفضل الخطة الجديدة التي اتخذها لنشر انوار افكارهِ وبث خواطرهِ ومساعيهِ ألا تراهُ قد ترك على جانب ذرائع الظلم والغشم وتمسك باصول ثابتة الاركان قائمة على اعطاء كل ذي حق حقهُ ؟ ألم يظهر لكل ذي عينين ان ابناء الغرب لا يتذرعون الاَّ بذرائع الادب واللطف لا بذرائع الفتك

والعنف . أَلم يظهر للجميع ان علمهم أَرقى من علمنا وصناعتهم اسرع نتاجًا من صناعتنا وعمالهم اوفى ذمة من عمالنا ورؤَساهم اشفق بمرؤُوسيهم من رؤسائنا وحساباتهم اضبط من حساباتنا ؟ أَلم ينفوا من قلوب العقلاء الضغائن والاحقاد المتولدة من القهر والجبر اللذين كان يلجأُ اليهما ذوو الطمع او البأْس او الشدة

نعم ان الغربيين بلغوا في عهد قصير ما لم نبلغهُ الاَّ في عصور متطاولة . اصبح اليوم هؤُلاء الذين كنَّا نسميهم علوجًا او اعاجم او متوحشين او برابرة من اول الامم وفي مقدمتهم وذلك باتفاق الاقوال واجماع الآراء

وكأَن عمال الافرنج لم يكتفوا بما وصلوا اليهِ من علو المرتبة فوق الشرقيين فاخذوا يسعون اليوم في تمكين تفوُّقهم عليهم لكي لا يرجع الشرق الى سابق عزهِ وسامق مجدهِ . ويبقى الغرب هو المجلي في هذا الميدان او هو الغالب في هذه الحرب الضروس . ولهذا تراهم دائبين في وصل العلم بالعمل سعيًا وراء تحقيق امانيهم لكي لا يخسروا ما اكتسبوهُ بجدهم وكدهم في تلك المدة

ان هذا النوع من تنازع البقاء سلمي السير لكنهُ لا يقْعد اصحابهُ عن اتمام الطريق التي اخذوا بها . كما لا يلهيهم فوزهم الباهر عن التخطي الى الامام بتدبر ما نالوهُ سابقًا من علو المقام كما فعل من سبقهم من اولئك الاقوام الذين اعتمدوا على نصرهم المبين الاول فلم يريدوا بعدُ ان يجاهدوا طالما هم في الحياة مدَّعين انهم في حرز حريز مكين ولهذا قيل فيهم : « ما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين »

قالت امم الغرب : علينا ان نتخذ جميع الوسائل التي تمنعنا من الهوِي والسقوط من حالق . تلك السُنَّة سُنة الانحطاط والهبوط الجارية منذ العهد السابق . وهذا ما يمكننا ان نبلغهُ بعزم وحزم وتفكُّر وتدبر لان ليس في هذا الكون من القضاء المبرم والقدر المحتوم شيءٌ معلوم انما خلق الله الكون وسلط على اهلهِ الادواء لكنهُ عيَّن لكل منها دواء . — نعم اننا نرى الامم اللاتينية العنصر تضعف بعض الضعف بجنب العنصر الصكصوني بيد ان ذلك لا يدل على ان ساعة الانحطاط او الهبوط قد آنت او قربت

قالت تلك الامم : ما الذي رفعنا الى هذا العلوّ ومكَّننا من الاخذ بشعفتهِ ؟ — وما هي الاسباب التي تحملنا على اطلاقها من ايدينا ؟ — هتان مسئلتان يحق لنا ان نتحرَّى حلها حتى اذا ظفرنا بهما جرينا نحن ايضاً على اثر اولئك المحاضير المغاوير وأَعدْنا الى نفسنا ما كنَّا عليهِ من السبق واحرزنا مكانتنا الاولى من المجتمع البشري

ان اسباب العظمة والحضارة في امة من الامم كثيرة عديدة · وقد حصرها اغلب الاقدمين في تمكين قوى الجند والدهاء في السياسة · لكن لو تدبروا الامر من جميع وجوههِ لعلموا ان الامة تتألف من الافراد · وقد يكون الافراد حسني السيرة والسريرة كما قد يكونون سيئيها · وحينئذٍ تكون الامة حسنة او سيئة بحسب ما تتألف من تلك الافراد · قل لي حفظك الله الا تدري ان الذهب الابريز يتألف من دقائق من جنسهِ ؟ او ليس ذرات الفحم تنشئ الفحم ؟ او يجنى من الشوك عنب ؟ اليس كل ثمر يقطف من الشجر الذي يثمرهُ او هو من جنسهِ ؟

وعليهِ اذا حسنت الافراد حسنت العيال او الجماعات · واذا اجتمعت عيال مهذبة في موطن من المواطن تقدمت منها المدينة · ومن تحاشد المدن تتألف الدول والممالك · هذا ولا يكفي للافراد حسن الآداب بل يجب ان يعيشوا متآلفين دائبين في الاعمال المنتظمة لتتولد منها المعيشة المنتظمة التي هي معين الثروة الصادقة · اذاً مسئلة الاقتصاد والتوفير تبين اليوم اصدق سبب لعظمة الامم وسعادتها لا مسئلة الجندية او الحنكة في السياسة

واذا ثبت هذا المبدأ فلننظر الى الاسباب التي مكَّنت امم الغرب من الاخذ بناصية مقامها الاقتصادي والاسباب التي تثبت قدمها فيهِ · فهذا ما نريد ان نرصد لهُ هذه الاسطر فنقول

كل انسان يولد في العالم ومعهُ قدر من الذكاء والنور والحياة · وهو كنز يشترك فيهِ جميع الناس ويحق لكل واحدٍ منَّا ان ينميهُ ويحسّنهُ او يدعهُ وشأنهُ · فاذا تركهُ وشأنهُ قلَّ فيهِ رويداً رويداً او نكَّب بصاحبهِ عن الطريق السويّ القويم · اذاً لا تتقدم حضارة امة من الامم الاَّ بتقدم افرادها · وتقدم الافراد لا يكون الاَّ بإنماء ذاك الكنز المشترك وتحسينهِ · هذا فضلاً عن ان تقدم الافراد هذا مبني على تخريجهم وتدربهم على هذا الصراط المستقيم الذي يتطلب صرف الجهد الجهيد وافراغ ما في الذرع والوسع والطاقة في هذا الوجه الحسن

واذا كان الغربي قد سبق الشرقي في الاقتصاد والتوفير مع انهُ كان دونهُ قبل الفي سنة فهذا يدل على انهُ احسن التصرف بالكنز المشترك واستخرج منهُ قدراً من العمل اعظم مما استخرجهُ منهُ الشرقي او فاقهُ في هذا الخصوص · بينما اخذ اخوهُ الشرقي يتوانى في استثمارهِ · بل ان الغربي نجح في اقناع ابناء قومهِ في ان خيرهُ وصلاحهُ ونجاحهُ وفائدة

نفسهِ وفرائض حالهِ توجب عليهِ ان يتخذ ذرائع علمهِ وذكائهِ في تحسين حظهِ وحظ اخوانهِ في الوطن . وبالجملة ان الغرب علم احسن العلم ان الانسان هو المحرّك الحقيقي للعمل فإن أُحكم تهذيب الانسان وتخريجهُ ازدادت نتائج عملهِ . قلنا : اذا كان الامر كذلك فاي معاهد شيدت لهذه الغاية وعلى ايّ مبادئ استند المصلحون والى اي المذاهب ذهبوا لتحقيق هذه الاماني في نفوس المشتغلين والعمّال والصنّاع حتى ظهر هذا التقدم البيّن منذ نحو الفي سنة . وما كان يا ترى قدر سعي الافراد والجماعات والدول في هذا العمل الخطير . وهل ساعد العنصر الدنيوي العنصر الديني وهل اسرع او ثبَّطَ ائتلاف او تنافر هذين المبدأين القويين في سيرها ؟ وهل الاختلاف في العقائد بين الشرق والغرب يوضح لنا التغيير الذي طرأ على توازن القوي الممدَّنة للعالم ؟ — واي تأثير يؤثر الدين في نشوء وارتقاء العمل وفي طاقة افكار العمال اذا ذهبوا في تعليمهم الرسميّ الى مذاهب تفضي الى نفي الدين من المجتمع الانساني

فهذه كلها اسئلة يتولد منها اسئلة اخرى وكلها في منتهى الشأن والخُطُور . ويحسن بالباحث ان يعرضها على بساط تقع عليهِ انوار شمس التنقيب والتفتيش ليبصر ما فيها من الزين والشين اذا اراد ان يقف على الحقائق المقرَّرة و يعرف مواردها ومصادرها . — لا جرم اننا اذا عرفناها لا نتأخر عن ان نتتبع آثارها فنصل اليها ونسابق مجارينا في التزاحم على مشارعها

هذا والجواب عن هذه الاسئلة هو في منتهى اللطافة والدقة بل في غاية الخطر والخطور لانها تستلزم معارف شتى ومباحث دقيقة قد يتيه فيها الدليل الحاذق . — على اننا نفرغ ما في وسعنا سعياً وراء نشد هذه الضالَّة ومن افرغ وسعهُ فقد عمل ما في طاقتهِ والله لا يكلف نفساً الاَّ طاقتها

ومما تقدَّم بيانهُ ترى انهُ لا بد من مطالعة التاريخ والوقوف على اسباب نشوء الامم ورقيها واستبحارها في العمران او انحطاطها وهرمها واضمحلالها . وعلى كلٍّ فان بحثنا هذا وان كان في حال الطفولة فهو لا يخلو من فائدةٍ لمفكّرٍ او متدبرٍ وكفى

امكح

النساء والطب

(تابع ما قبلهُ)

١٢ النساء الطبيبات في القرن التاسع عشر

يحق للقرن التاسع عشر ان يلقب بقرن الطبيبات لان عددهنَّ كثر فيهِ جدًّا ففي ازمنة الثورة الفرنسوية وفي منتصف القرن المذكور لم تعرض مسئلة الطبيبات على بساط البحث الاَّ نادراً

وفي سنة ١٨٦٦ استأذنت مدام مادلين برز Madeleine Brès في فرنسا المعلم ورتز في حضور دروس الطب وقد كانت منذ نعومة اظفارها مائلة الى الاعتناء بالمرضى ومما رسَّخ هذا الميل فيها موت زوجها وتركها من غير شيء يكفل عيشها فاضطرت ان تربي اولادها بتعبها وعرق جبينها فصممت على درس الطب ولما عرضت المسئلة على المعلم ورتز طلب منها الشهادات التي يوجبها القانون لدارسي الطب ولما لم تكن حائزة عليها قال لها حينما تنالين الشهادات المذكورة اقبلك بطيبةِ خاطر . ولما كانت سنة ١٨٦٨ عادت اليهِ بشهادات في الآداب والعلوم ومنذ ذلك الحين فتحت جامعة باريس ابوابها الرحبة لقبول النساء في درس الطب ولا تزال تعطي كل سنة دبلومات عديدة لدوكتورات فرنسيات واجنبيات مما لا يظفرن بهِ في بلادهن . ولم تلاقِ النساء هذه المرة في فرنسا صعوبات وعقبات كبيرة لان الافكار كانت مهيأَةً لقبول ذلك وان ممارسة النساء للطب قديمة في فرنسا كما سبق القول . ولم يكن الامر كذلك في سائر الممالك لاسيما في البلاد المتحدة فان الاوليات من طالبات الطب قد عانين عرق القربة في سبيل قبولهنَّ

اليصابات بلاكول

ولدت في برستول ببلاد الانكليز سنة ١٨٢١ وهاجرت الى اميركا مع والديها وهي في مقتبل العمر وتوفي ابوها فجعلت تساعد امها في تربية اخوتها واخواتها وعُينت مديرة لمدرسة وكانت تقتصد في نفقاتها وتشتري كتباً طبية تطالعها في السهرات والعطلات . وبعد ان درست الدروس الابتدائية التي تؤَهلها لدرس علم الطب لم تجد مدرسة طبية تقبلها الاَّ مدرسة جنيفا في ولاية نيويورك وذلك بعد ان استشارت المدرسة طلبتها وطلبت منهم ان يتعهدوا لها بان يسيروا امام هذه السيدة السيرة التي تقضي بها الحشمة واللياقة ، فتعهدوا

بذلك ولم يحيدوا عن هذه الخطة الاَّ مرة واحدة فان مس بلاكول كانت تدخل غرف التدريس ولا تلتفت الى احد بل تشخص بنظرها الى الاستاذ والكتاب لا غير . واتفق ذات يوم ان كان الدرس في موضوع تأبي الآداب العمومية ذكرهُ امام النساء فشعرت بورقة نزلت على ذراعها فلم تلتفت اليها كأنها لم تشعر بها ونهضت عند انتهاء الدرس وخرجت متجاهلة ما حدث فزاد احترام التلامذة لها . غير انها لقيت من تهكم اهل المدينة عليها ما يثبط العزائم وابى بعض النساء ان تدخل بيوتهنَّ . اما هي فتغلبت على ذلك كلهِ بثباتها ونالت الدبلوما الطبية سنة ١٨٤٩ . وسنة ١٨٥٧ اسست مستشفى ومدرسة طبية للنساء في مدينة نيويورك

١٣ مكافحة النساء ٢٥ سنة

وبقي النساء خمساً وعشرين سنة يكافحنَ في انكلترا حتى قُبلنَ في المدارس الطبية وكان الشأن الاكبر في ذلك لمس اليصابات غارت Flisabeth Garett فانها درست الطب في باريس ولما رجعت الى انكلترا ودَّ كثيرات من الفتيات ان يقتدين بها ويكرهن المدارس الطبية الانكليزية على قبولهنَّ وفي مقدمتهنَّ مسز جكس بليك وسنة ١٨٧٧ تألفت جمعية من نساء علية القوم لانشاء مدرسة طبية للنساء فاجيز حينئذٍ قبول النساء في الامتحان الطبي ولم تأتِ سنة ١٨٨٨ حتى صار في انكلترا سبعة مستشفيات سلّمت ادارتها للنساء وبلغ عدد الطبيبات ٧٤ سنة ١٨٨٩

١٤ الطبيبات في الشرق

من الغريب ان اهل اوربا ارادوا منذ ستمئة سنة افادة البلاد الشرقية بواسطة نساء تعلمنَ فن الطب . فقد اقترح پيير دي بوا احد المشترعين على ادورد الاول ملك الانكليز سنة ١٣٠٧ ان يهتم بنشر الاداب والفضائل والديانة في الشرق بواسطة نساء يرسلنَ لهذا الغرض بعد ان يتعلمن الدين وقليلاً من اللغات اللاتينية واليونانية والعبرانية والعربية ويقفن على العلوم الطبيعية والطب وفن الجراحة والتمريض . ولكن يظهر ان هذا الامر لم يخرج الى حيز الفعل

ومن الغريب ايضاً ان اوربا لم تهتم بارسال الطبيبات الى مستعمراتها حتى القرن التاسع عشر ولم تعتنِ فرنسا بذلك قبل سنة ١٨٧٠ ففي سنة ١٨٦٣ بيَّن الدكتور بوتن رئيس المكتب الطبي في الجزائر في خطبة لهُ حالة المرأة العربية هناك . وختم كلامهُ قائلاً ان ما يستطيع الطبيب فعلهُ قد تستطيعهُ الطبيبة . وحينما القى هذه الخطبة كانت ابواب المكتب

موصدة في وجه النساء ولم تفتح الآ سنة ١٨٦٨

١٥ المرأة الهندية والتطبيب

والنساء في بلاد الهند يرثى لهنَّ فانهنَّ سجينات في بيوتهنَّ محرومات من كل مساعدة طبية يقاسين آلام الامراض الى ان يتجرعن كأس الردي لا طبيب ولا علاج لكن اخواتهنَّ في اوربا واميركا لم يدعنهنَّ من غير مساعدة فحالما اجيز لهنَّ درس فن الطب والتطبيب بادرن اليهنَّ حتى لما وصلت لادي دفرن الى بلاد الهند وعهدت اليها انكلترا في تأسيس المعاهد الطبية رأت بعض الطبيبات الاميركيات قد وصلن الى تلك البلاد وزاولن صناعة الطب فيها

وسنة ١٨٨٦ شرع الانكليز في تأسيس معاهد تطبيب النساء في الهند وانفقت الجمعية الوطنية ٣٨٠٠٠٠٠ فرنك في غضون سبع سنوات لاقامة المستشفيات للنساء الهنديات وعالجت ٤٦٦٠٠٠ امرأة ٠ وصار لهذه الجمعية ٩٤ مستشفى سنة ١٨٩٩ فيها ٣٥ دكتورة من مدارس اوربا واميركا و٧٥ دكتورة من مدارس الهند ولتلك الجمعية ٣٩ بعثة طبية منتشرة في اقطار الهند والمكتب الطبي هناك دئب في تعليم النساء صناعة الطب

١٦ بلاد النمسا والطبيبات

بقيت بلاد النمسا حتى سنة ١٨٩٠ مانعة تدريس النساء في مدارسها الطبية وحاظرة على الطبيبات اللواتي درسن في المدارس الطبية الاجنبية ان يطببنَ فيها ٠ ولما احتلت البوسنه والهرسك تغيرت الحال فانها سلمت زمام ادارتها الى رجل همام وهو المسيو دوكالي وزوجتهُ من المهتمات بامر المسلمات ففي سنة ١٨٩٠ اخبر ده كالي الكليات الاجنبية ان في نية حكومة النمسا والمجر ان تستخدم الطبيبات في البوسنه فلبَّت مدام كراجوسكي البولونية طلبهُ وجُعلت طبيبة رسمية في طولنجه طوزله وعينت مداموازل كيك في موستار واسست الكونتس ده كالي مستشفى للنساء المسلمات في سراجغو

١٧ الطبيبات في الممالك الاسلامية

وسنة ١٨٩٣ صدرت ارادة سنية في البلاد العثمانية تجيز للطبيبات ممارسة الطب٠ وتوجد الطبيبات الآن في لبنان ودمشق وطرابلس و يافا وبغداد والقطر المصري وكذلك في جلفا و يزد من بلاد ايران ٠ واسست جمعية انكليزية مستشفى في طنجة من المغرب الاقصى عهدت في ادارتهِ الى مس بريز Breeze وعين امير افغانستان مسز هملتون طبيبة لعائلتهِ ويزداد عدد البعثات الطبية النسائية الاميركية في الشرق الاقصى يوماً فيوماً ٠ وكل

اطباء مستشفى مرغريت وليمسن في شنغاي من النساء

واول طبيبة روسية نالت الدبلوما من دولتها مدام رازي كوتلوروفا سليمانوروف المسلمة وجعلت مقرها مدينة تاشكزند

١٨ اول طبيبة هندية

اول طبيبة هندية انندبيا جوزهي ولدت سنة ١٨٦٥ وقضت سني ظفوليتها في بيت ابيها وهو من اهل اليسار ولما بلغت الخامسة من عمرها جعلت تتعلَّم السنسكريتية وزوّجت في التاسعة من عمرها حسب سنة الهنود فولدت ولداً سنة ١٨٧٨ ولكن طفلها مات بعد ايام قلائل فاثرت فيها هذه الفاجعة تأثيراً شديداً فعقدت النية على درس علم الطب لتنتشل الاطفال من مخالب الموت ولبثت اربع سنوات حتى اقنعت ذويها ليسمحوا لها بمغادرة الهند لاسيما وان وطنها البنغال معهد التحمّس الديني فسافرت سنة ١٨٨٣ الى الولايات المتحدة فاستقبلتها السيدة راحيل بودلي في فيلادلفيا رئيسة المكتب النسائي الطبي ولم تلبث ان ادهشت اساتذتها باجتهادها فانها كانت تدرس ست عشرة ساعة كل يوم رغماً عن نحافة جسمها وضعف بنيتها ونالت الدبلوما الطبية سنة ١٨٨٣ في حفلة حافلة حضرها ثلاثة آلاف نفس صفقوا تصفيق الاستحسان لاول طبيبة هندية لكنها عادت الى بلاد الهند ضعيفة منهوكة الجسم وبعد اشهر قلائل اسلمت الروح وهي تقول لقد عملت كل ما في طاقتي

١٩ مصلحة المستشفيات الفرنسوية

اول مستشفى اقيم في اوربا اقامتهُ سيدة رومانية اسمها فابيولا اوفابيا وذلك سنة ٣٨٠ للميلاد وخصصت كل ثروتها لمساعدة الفقراء

اما مُصلحة المستشفيات الفرنسوية فهي مدام نكر فانها اسست اولاً مستشفًى جعلتهُ انموذجاً للمستشفيات في التدابير الصحية والاعتناء بالمرضى والاقتصاد في النفقات خلافاً لسائر المستشفيات التي كانت في حالة يرثى لها من الاهمال والتبذير واودعت فوائد معهدها الصحي كتاباً بحثت فيهِ عن كل الامور التي تلزم لادارة شؤُون المستشفيات حتى اقلها شأناً

٢٠ المستشفيات العسكرية

لا يذكر الانكليز اسم فلورنس نيتنغايل الاَّ ويترطب لسانهم بمدحها كيف لا وهي التي بعثت الى حرب القرم فانقذت المرضى والجرحى من مخالب الموت ونظمت المستشفيات العسكرية وقد وصف المقتطف افعالها في المجلد الثالث والثلاثين والصفحة ٣٣٤ بما يغني عن الاعادة

يوسف رزق الله غنيمة

حيوانات الجيزة

الكركدن

قلما يخطر على بال مَن يدخل جنائن الحيوانات في الجيزة من سكان القاهرة والمترددين عليها ويرى الكركدن يمشي الهوينا متثاقلاً انهُ في مسارحهِ بافريقية من الحيوانات التي يُحسَب حسابها ويخشى شرها فيخافهُ الصيادون كما يخافون الاسد والفيل

يُعرف من الكركدن خمسة انواع . ثلاثة منها في اسيا وهي الهندي ولهُ قرن واحد والجاوي ولهُ قرن واحد ايضاً والصومتري ولهُ قرنان . واثنان في افريقية وهما الاسود والابيض ولكل منهما قرنان وقد يكون لهُ ثلاثة . والابيض اكبرهما وهو ليس ابيض فعلاً بل رمادي اللون او هو اقل سواداً من الاسود وقد يبلغ طول قرنهِ المقدم خمس اقدام وارتفاعهُ عند كتفيهِ ست اقدام . والاسود اصغر منهُ قليلاً ارتفاعهُ خمس اقدام الى خمس ونصف واطول قرن من قرونهِ عُرف حتى الآن طولهُ ثلاث اقدام ونصف قدم . ولونهُ اسود ولكنهُ يتمرَّغ في الحمأة الملونة فيظهر لونهُ بما يلصق بهِ منها

وطعام الكركدن الافريقي اغصان الاشجار والانجم واوراقها ولا يختلف الى المستنقعات كثيراً كالهندي وقد يوجد في اماكن لاماء فيها فيسير مسافات طويلة قبل ان يصل الى غدير او بركة . والغالب انهُ يرد الماء ليلاً وصباحاً . ويتردد على الجبال العالية فان المستر تجادر اصطاد كركدناً حيث الارتفاع ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر ورأَى هناك من آثارهِ ما يدلُّ على انهُ كثير التردد على الاماكن العالية

وقرن الذكر اكبر من قرن الانثى واغلظ والغالب ان يكون المقدم من قرنيهِ اكبرهما ولكن لا يندر ان يكون المؤَخر اكبر من المقدم وقد ينعكف الى الامام لا الى الوراء . رأَى تجادر كركدناً في وسط قرنهِ انتفاخ كبير كأَنهُ ادخل فيهِ قلَّة من قلل الماء ورأَى قرني كركدن آخر وقد التوى كلٌّ منهما نحو الآخر حتى التقى رأْساهما

وجلد الكركدن الهندي اثخن من جلد الافريقي ولهُ تفاصيل كانهُ صفائح الدرع كما ترى في الشكل المقابل . اما جلد الكركدن الافريقي فصقيل صفيق يختلف ثخنهُ من ثلث عقدة تحت بطنهِ الى عقدة او اكثر على ظهرهِ وجنبيهِ ولاسيما فوق كتفيهِ وقفا عنقهِ . وهو على غلظ جلدهِ لا يسلم من لسع الذباب والقراد فانهما يجدان شقوقاً في الجلد يعيشان فيها

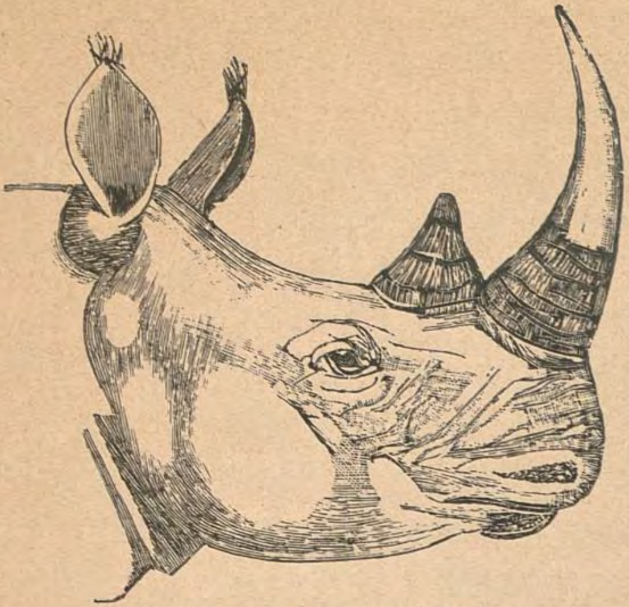

رأس الكردن الافريقي الابيض

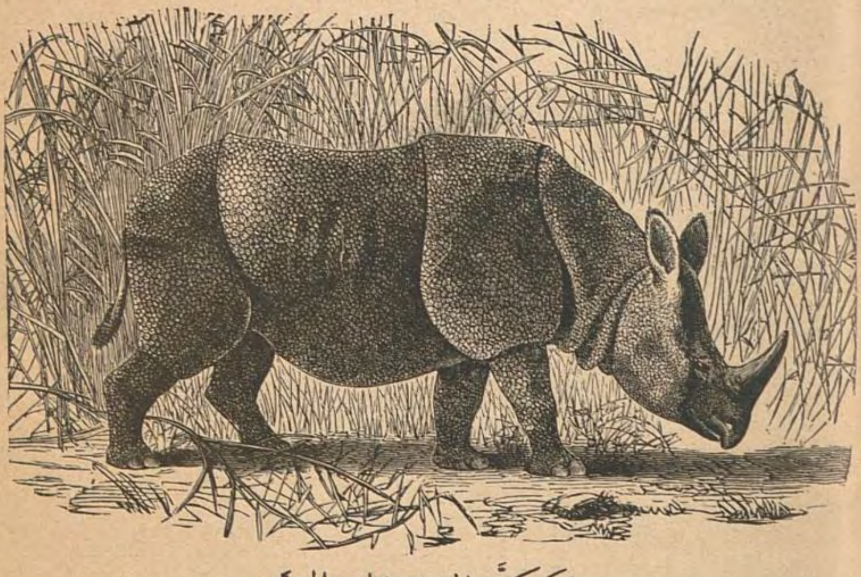

الكركدّن الهندي بجلدهِ المدرّع

ويتكاثران ويمتصان الدم منها فيتبعهُ القطقاط او طائر يشبههُ ويلتقط الذباب والقراد وهو الدليل عليهِ والمحذر منهُ فاذا سمع القانص صوتهُ علم ان الكركدن تحتهُ في الدغل ولو لم يرَهُ

والكركدن الافريقي من اقوى الحيوانات يقتلع الشجرة الكبيرة بجذورها ويخترق الادغال مهما شاكت وكثفت حيث يتعذر على حيوان آخر اختراقها . ولما كان العمال يمدون سكة الحديد الى اوغندا ساءهُ ذلك فجعل يهجم عليهم ويقتلع الخطوط الحديدية ويقلب المركبات الكبيرة

وقد قيل انهُ ضعيف البصر فلا يعتمد الاَّ على شمهِ لكن المستر تجادر نفى ذلك وقال انهُ يرى جليًّا ولو عن بعد ولكن اذا وقف الانسان امامهُ جامداً لا يتحرك فقد لا يميز بينهُ وبين جزع الشجرة وشأنهُ في ذلك شأن غيرهِ من الوحوش . قال ولم استطع ان ادنو منهُ في السهل الى اقرب من سبعين متراً قبلما يراني او يشعر بي وكثيراً ما كان يراني ويهرب مني على اكثر من مئة متر الى مئة وسبعين متراً . ولكن الهرب ليس شأنهُ دائمًا فقد يضطرُّ الى الهجوم ولاسيما اذا جُرح جرحًا اليماً . كنت مرةً سائراً ومعي قليل من الرفاق وبندقيتان احداهما من بنادق الصيد الصغيرة ولم نكد نسير عشرين دقيقة حتى رأينا امامنا اثاراً حديثة من آثار الكركدن وكان غرضنا صيد الغزال لا صيدهُ فتركنا آثارهُ وسرنا في طريق آخر حيث الارض سهل كثير الكلاءِ قال الذين معي انهم رأوا الغزلان فيها منذ ساعة من الزمان . ولكننا لم نسر طويلاً حتى هجم علينا كركدن ضخم الجثَّة هائل المنظر فاختفى رجالي كلهم حالاً كأن الارض ابتلعتهم وفي لحظة من الزمان صار رأس الكركدن على نحو مترين من رأس بندقيتي فاطلقتها عليهِ فوقع امامي لا يبعد رأسهُ عن قدمي سوى نصف قدم ولو اخطأتهُ او لو لم تخرق رصاصتي دماغهُ وتقتلهُ حالاً لفتك بي لا محالة . وقد ثبت لي انهُ كبير السن جدًّا لان الزمان قد برى قرنهُ حتى لم يبقَ منهُ الاَّ ثلثهُ

قال وشمُّ الكركدن حادٌّ جدًّا لا يفوقهُ الاَّ شم الفيل وكثيراً ما كنت اراهُ يستروحنا على ثلثمئة متر والغالب انهُ اذا شمَّ رائحة انسان اسرع اليهِ ولو لم يقصد الهجوم عليهِ . ولقد قتلت اثني عشر كركدنًا ثمانية وهي هاجمة عليَّ تقصد الايقاع بي ولكن غيرها سار نحوي حتى دنا مني ثم بدا لهُ ما غير رأيهُ فتركني وعاد ادراجهُ او سار في طريق آخر

ولا يُعلم قصد الكركدن لانهُ قد يهجم عليك او يتركك ويلوي عنك . كنت مرة سائراً ومعي الرجال الذين يحملون امتعتي فرأينا كركدنًا كبيراً في طريقنا فوقفت استشير رجالي في الامر لاني لم اكن اقصد صيدهُ ولا كنت ارضى ان يصيد هو احداً من رجالي فاشاروا

ان نقف كلنا ونزعق باعلى اصواتنا ونقرع ما معنا من الصفائح الفارغة ففعلنا ولم يكد الكركدن يسمع جلبتنا حتى رفع رأسهُ وشال بذنبهِ وولَّى هاربًا

وحدث بعد بضعة اشهر ما هو على الضد من ذلك فاننا كنا سائرين في طريق آخر حتى اذا بلغنا رأس مرتفع من الارض رأينا كركدنين كبيرين يرعيان امامنا على جانبي الطريق الذي كنا عازمين على السير فيهِ وهما على نحو مئتي متر منا وكانا يسيران الهوينا في الجهة التي كنا نسير فيها فلا بدَّ لنا من ان نلحقهما بعد قليل . فعزمنا ان نخيفهما بالصياح كما فعلنا في النوبة الماضية فزعق خمسون منا دفعةً واحدة باعلى اصواتهم وقرع الباقون ما معنا من آنية الماء الفارغة فكانت النتيجة ان الكركدنين دارا الينا وهجما علينا معًا كأنهما جوادا مركبة واحدة . وكنت قد سمعت ان الكركدن اذا اصيب برصاصة لم تقتلهُ هرب الى عكس الجهة التي اصيب فيها فلما صارا على نحو خمسين مترًا منا اطلقت على كلٍ منهما رصاصة في الجنب الذي يلي رفيقهُ فكأنني فرقتهما باسفينين لان احدهما لوى الى اليمين والآخر الى اليسار وهربا من امامنا في جهتين مختلفتين فسارت الانثى منهما عن يميننا وسار الذكر عن يسارنا ولكن الذكر لم يبعد كثيرًا عنا حتى غيَّر فكرهُ والظاهر انهُ سمعنا نضحك عليهِ ونهزأ بهِ فاغتاظ منا وعاد الينا مسرعًا وكنت قد حشوت بندقيتي فوقفت مرحبًا بهِ وكان بيننا وبينهُ تلَّة من تلال النمل على خمسة عشر مترًا منا فعزمت ان لا اطلق الرصاص عليهِ قبلما يصل اليها لعلهُ يغير فكرهُ ثانية متى بلغها . فكان كما قدَّرت لانهُ لم يكد يبلغها حتى وقف بغتةً وجعل يشخر وينخر ويرفسها بقدميهِ وانا اناديهِ بلغة رجالي قائلاً (نجو مزي ميمي تياري) اي هلمَّ يا صاح فاني مستعد. لكنهُ نفث غيظهُ برفس التلة ثم ولى هاربًا . وقد رأيت في جنبهِ جرحًا كبيرًا يشخب الدم منهُ دلالة على ان الرصاصة مرت فيهِ مرورًا سطحيًّا غير غائر

والصيادون مختلفون في وصف الكركدن فقد قال بعضهم انهُ بليد جبان يهرب لاقل سبب وقلما يهجم على صيَّاد . وقال غيرهم انهُ اشد الوحوش خطرًا وانا من هؤلاء وكنت احسب قبل ان جربت صيدهُ انهُ جبان لا يُخشَى شرهُ فاذا هو على الضد من ذلك

كنت يومًا مقيمًا في خيمتي اتقاء المطر لانهُ كان ينهمل كالسيل واذا برجل يقول انهُ اقتصَّ اثر كركدن كبير الى مكان قريب منا . ولم اكن قد صدت الكركدن ولا رأيتهُ في مسارحهِ وكنت شديد الرغبة في صيد واحد منهُ لمعرض التاريخ الطبيعي فتناولت بندقيتين وخرجت مسرعًا ومعي حامل بندقيتي وبضعة رجال من اتباعي واذا امامنا دغل كثيف يتعذر السير فيهِ حتى كنا نضطرُّ احيانًا ان ندب على ايدينا وارجلنا . واقتفينا اثر الكركدن

ساعة بعد الى ساعةان ملء الرجال واضناهم التعب فحاولوا ان يقنعوني انهُ لا يمكننا ان نلحق بهِ لانهُ ابعد عنا جدًّا اما انا فادركت انهم انما يريدون الرجوع خوفًا فلمتهم على جبانتهم وعنفتهم وقلت ان لا بدَّ لي من ان اواصل السير الى ان ارى الكركدن بعيني

فباحوا لي حينئذٍ بما كانوا يضمرون وقالوا ان اتّباع الكركدن في تلك الادغال محفوف بالمخاطر وانهُ اذا كان لا بدَّ من اتباعهِ وجب عليَّ ان اسير امامهم وهم يتبعونني من ورائي. فهزأت بهم وقلت لهم دونكم ما تريدون وتناولت البندقية الكبرى وسرت امامهم وظللنا نقتفي الاثر نحو ربع ساعة وحينئذٍ وقف الرجال وابوا السير قائلين ان الكركدن قد ابعد عنا جدًّا فمن العبث محاولة ادراكهِ وقبل ان اجيبهم على كلامهم سمعنا شخيرًا من كركدنين واذا هما على نحو عشرين مترًا منا وقد اخذا يكسران الاشجار في هجومهما علينا. وكنا واقفين في دغل لا نستطيع التحرك فيهِ فالتفت يمنةً ويسرةً واذا فرجة ضيقة بين الاشجار ولكني لم اجد حامل بندقيتي ولا غيرهُ من رجالي لانهم اختفوا كلهم باسرع من لمح البصر فدرت الى تلك الفرجة واذا انا برأس كركدن كبير على نحو عشرين قدمًا فاطلقت الرصاص عليهِ فخرج بصوت كالرعد القاصف وللحال انطرح ذلك الوحش الهائل على بضع اقدام مني لان الرصاصة خرقت دماغهُ ولم اكد استنشق الهواء حتى سمعت احد الرجال يناديني من رأس شجرة قائلاً بلغة البلاد « بوانا انجن انا كوجا» اي هوذا واحد اخر ياسيدي ولم يكد يتم عبارتهُ حتى رأيت الكركدن الثاني هاجمًا عليَّ من جهة اخرى فدرت اليهِ واطلقت عليهِ الحديدة الثانية من بندقيتي فوقع لا يبدي حراكاً. فارديت اول كركدنين كبيرين في اقل من دقيقة من الزمان و ببندقية واحدة ذات طلقين

ومن يستطيع ان يصف ما طفح على قلبي من السرور حينما جلست على بطن واحد من ذينك الخصمين العنيدين وانا اشكر ربي لانني لم اعمل بمشورة رجالي بل اعتمدت على نفسي. وهجوم ذينك الكركدنين عليَّ ينفي قول مَن قال ان الكركدن لا يهجم في مرة من مئتي مرة. ومما يؤيد قولي ان الدكتور كولب العالم الالماني كان يصيد الطيور منذ بضع سنوات في املاك المانيا بشرق افريقية فباغتتهُ كركدنة كبيرة وهجمت عليهِ ولم يكن معها فلوها حتى يقال انها هجمت دفاعًا عنهُ. وكان مع الدكتور كولب بندقية صيد صغيرة لا تصلح لصيد الوحوش الكبيرة فهرب من وجهها ورأى امامهُ شجرة كبيرة ساقها مجوفة فدخل جوفها ليتخفى فيهِ لكن الكركدنة ادركتهُ ونطحتهُ بقرنها فقتلتهُ ومزقتهُ. والتقيت في شرق افريقية سنة ١٩٠٦ باحد الاشراف النمسويين فاخبرني بثلاث مواقع نجا فيها هو اوغيرهُ من الكركدن

بعد الاشراف على الهلاك ففي المرة الاولى نجا هو من كركدن هجم عليهِ ودفعهُ في كفهِ فرماهُ على بضع اقدام من طريقهِ وفي المرة الثانية هجمت كركدنة على طباخهِ ومزقت بدنهُ بقرنها وكثيراً ما بيّت الكركدن القوافل ويقتل بعض رجالها لا تمنعهُ عن ذلك نار ولا يثنيهِ صياح · ويدلني الاختبار على ان الكركدن اشد الوحوش الافريقية خطراً لان الصيادين لا يعلمون أيهجم عليهم ام يهرب منهم ولاسيما في الادغال الملتفة · وقلما يقتل الاَّ اذا خرق الرصاص دماغهُ · اطلق صياد مرة اثني عشرة رصاصة على كركدن وصلت اثنتان منها الى قلبهِ وخرقت ثلاث رئتهُ ولكنهُ لم يقتل بل هجم على الصياد وقتلهُ ثم سار مئة خطوة ووقع ميتاً · انتهى

وقال السر صموئيل باكر ان القرن المقدم من قرني الكركدن الاسود لا يزيد طولهُ في شرق افريقية على قدمين ولكنهُ يبلغ في جنوب افريقية ثلاث اقدام او ثلاث اقدام ونصف الى نحو اربع اقدام واما القرن المؤخر فالغالب انهُ اقصر منهُ كثيراً والمقدَّم معكوف الى الوراء واما المؤخر فمستقيم

وقال المستر بلانفورد ان الكركدن لا يصعد في جبال بلاد الحبشة الى اكثر من خمسة آلاف قدم فوق سطح البحر والغالب انهُ يقيم في الغابات الكثيفة على ضفاف الانهار فيكسر الاشجار في بقع صغيرة منها او يوسع بينها حتى تصير لهُ حظيرة مستديرة قطرها نحو عشرين قدماً يربض فيها ويتمرغ ويلجأُ اليها كلما اشتد الحر فهي بيتهُ الذي يبيت فيهِ · واخبرهُ السكان انهُ اذا تبع الكركدن انساناً تعذَّر عليهِ الهرب منهُ ولو كان راكباً فرساً · ومن رأيهِ ان افضل سبيل للنجاة منهُ ان يصعد الانسان الى شجرة فان الكركدن لا يلتفت الى فوق · وشبَّه صوتهُ بصوت قاطرة سكة الحديد

وايد المستر سلوس ما قالهُ بلانفورد من ان الكركدن جبان ولو لم يكن طبعهُ المسالمة وقال انهُ سريع في حركتهِ قلق لا يركن الى بصرهِ او هو متردد بطيء الادراك فيختار التفحص وامعان النظر قبل ابداء الحكم فاذا دنوت منهُ على غير مهبّ الريح نهض بغتة وشخر وامعن نظرهُ فيك ثم شخر ثانية وسار اليك بضع خطوات ووقف وحرك رأسهُ يمنةً ويسرةً ثم سار نحوك فاذا زعقت في وجههِ حينئذٍ لوى عنك وشال بذنبهِ وذهب مسرعاً · وقال انهُ لما كان في مشونالاند كان يلتقي احياناً بخمسة منهُ او ستة او ثمانية فاذا استروحتهُ هربت من وجههِ الاَّ اذا كانت الريح تهبُّ منها اليهِ فلم تستطع ان تستروحهُ اي انها تعلم من هو بريحهِ فتهرب منهُ ولكنها لا تعلم من هو برؤيتهِ فتدنو منهُ لتتبينهُ · والكفرة يهربون منها

حينئذٍ اما هو فلم يكن يهرب بل كان يرشقها بحجر او يزعق في وجهها فتهرب . ولكن اذا اطلق الانسان بندقيتهُ على كركدن هاجم عليهِ ولم يقتلهُ حالاً فالكركدن يقع على ركبتيهِ ثم ينهض ويعاود الهجوم لا لانهُ يقصد الانتقام من خصمهِ بل لان اطلاق الرصاص يذهلهُ فيهجم على غير هدى ومن ثم شاع ما شاع عن شراستهِ واقتحامهِ . ولكنهُ اذا كان مجروحاً او متعباً من مطاردة الصيادين لهُ اقتحم كل ما يراهُ في طريقهِ ولو كان عربة كبيرة . وعندهُ ان صيد الكركدن الافريقي اقل خطراً من صيد الاسد والفيل والجاموس . وعزز قولهُ بما يفعلهُ الكفرة والهوتنتوت وهو انهم يتجنبون التحرُّش بالاسد ولكنهم لا يتجنبون التحرش بالكركدن ، وايَّد السر جون ولوبي ما قالهُ سلوس ولكنهُ قال ان الكركدن يهيج في فصل من فصول السنة

وقال المستر درومند ان الكركدن يخرج من حظيرتهِ في الجنوب الشرقي من افريقية الساعة الرابعة بعد الظهر او بعد ذلك اذا كانت البلاد كثيرة السكان ويسير في جهة الماء وهو يرعى في طريقهِ فيصلهُ عند العتمة فاذا كان حول الماء حمأة فالغالب انهُ يتمرَّغ فيها بعد ما يشرب ويعود الى مرعاهُ ويبيت يرعى الى الصباح ثم يشرب ثانية ويعود الى حظيرتهِ فينام فيها الى العصر كما تقدَّم . والحظيرة في حرز حريز تحيط بها الادغال الشائكة . وهو نؤَّامة لا يستيقظ ولو وصلتَ اليهِ ولكن الطائر الذي يتبعهُ ويلتقط قرادهُ يوقظهُ بصوتهِ

وكثيراً ما يسير الكركدن منفرداً وقد يسير مع انثاهُ وفلوها وشاهد المستر درومند مرة سبعة منهُ سائرة معاً . ورأى السرجون ولوبي ستة عشر كركدناً في يوم واحد سنة ١٨٨٦

ويصاد الكركدن في جنوب افريقية اما بان يتبعهُ الصيادون وهو يرعى او بان يكمنوا لهُ حيث يرد الماء . وعرب السودان المعروفون بالحمران يصيدونهُ على الخيل ويعرقبونهُ بسيف ذي مقبضين . وقال السر صموئيل باكر ان الكركدن قد يسبق اسرع الجياد وذكر كركدنين طاردهما المطاردون مسافة ميلين فسبقاهما ثم دخلا دغلاً لا تسير الخيل فيهِ . وقال صيَّاد من العرب للسر صموئيل ان الكركدن اصعب الوحوش صيداً وانهُ هو اصطاد كثيراً منهُ ولكنهُ كان يضطر ان يطاردهُ ساعات متوالية الى ان يتعبهُ فيقف كأنهُ يحاول الهجوم على المطارد وحينئذٍ يشاغلهُ احد المطاردين ويدور الآخر من ورائهِ ويضربهُ بسيف يعرقبهُ بهِ ولا بد من قطع عرقوبي رجليهِ معاً لانهُ يستطيع المشي على ثلاثة . وبعض العرب يحفرون لهُ حفرة قطرها قدم ونصف وعمقها قدمان يضعون فيها فخًّا يربطونهُ بقطعة كبيرة من الخشب بحبل متين فتعلق رجلهُ بهذا الفخ لكنهُ ينتزعهُ من الارض ويهرب

ويجر قطعة الخشب وراءهُ الى ان يدخل الدغل فتعلق الخشبة بهِ وتنهك قواهُ تعباً فيتبعهُ الصيادون في اليوم التالي ويقتلونهُ رمياً بالحراب

ويصنع من جلد الكركدن الواحد سبعة اتراس يساوي كلٌّ منها ريالين وثمن الرطل من قرنهِ في بلاد الحبشة ريالان وتصنع منهُ مقابض السيوف. ويأكل سكان جنوب افريقية لحم الكركدن ويستطيبونهُ ولكن لحمهُ جاف لا دهن فيهِ

الكركدن الاسيوي

اما الكركدن الاسيوي فمن الذين وصفوهُ من قدماء المؤلفين واهل الرحلات ابن بطوطه لما دخل الهند سنة ١٣٢٣ للميلاد اي منذ نحو ستمئة سنة قال

« ولما جزنا نهر السند المعروف ببنج آب (بنجاب) دخلنا غيضة قصب لسلوك الطريق لانهُ في وسطها فخرج علينا الكركدن وصورتهُ انهُ حيوان اسود اللون عظيم الجرم رأسهُ كبير متفاوت الضخامة ولذلك يضرب بهِ المثل فيقال الكركَّدن رأس بلا بدن. وهو دون الفيل ورأسهُ اكبر من رأس الفيل باضعاف ولهُ قرن واحد بين عينيهِ طولهُ نحو ثلاثة اذرع وعرضهُ نحو شبر ولما خرج علينا عارضهُ بعض الفرسان في طريقهِ فضرب الفرس الذي كان تحتهُ بقرنهِ فانفذ فخذهُ وصرعهُ وعاد الى الغيضة فلم نقدر عليهِ . وقد رأيت الكركدن مرة ثانية في هذا الطريق بعد صلاة العصر وهو يرعى نبات الارض فلما قصدناهُ هرب منا. ورأيتهُ مرة أُخرى ونحن مع ملك الهند دخلنا غيضة قصب وركب السلطان على الفيل وركبنا معهُ الفيلة ودخلت الرجالة والفرسان فاثاروهُ وقتلوهُ واستاقوا رأسهُ الى المحلة »

وما ذكرهُ ابن بطوطه ينطبق على نوع من الكركدن الاسيوي الاَّ في المبالغة بكبر رأسهِ وطول قرنهِ او تكون المبالغة زيادة من النساخ

وانواع الكركدن الاسيوي ثلاثة كما تقدم تمتاز بتفاصيل جلدها حتى كأَنها تروس ذات قتر (رؤُوس المسامير) وصل بعضها ببعض كما ترى في صورتهِ واكبرها الهندي وقد عرف في اوربا منذ سنة ١٥١٣ حين جيءَ بواحد منهُ الى بلاد البرتغال هدية الى ملكها. وقرنهُ كبير في الذكر وفي الانثى على حدٍّ سوى وارتفاعهُ نحو خمس اقدام ونصف قدم وقلما يزيد طول قرنهِ على قدم واحدة وقيل انهُ بلغ احياناً قدمين . وفي المعرض البريطاني قرن طولهُ ١٩ عقدة

وقد قلَّ الكركدن الآن في بلاد الهند ولا يكاد يوجد الاَّ في سهول اسام ولكنهُ كان كثيراً في بلاد البنجاب في اوائل القرن السادس عشر ولعلَّهُ كان كثيراً في كل بلاد الهند

واكثر ما يكون في الغياض يأكل من نباتها ويتمرَّغ في حمأتها . والمرجح انهُ مسالم لا يبادئ احداً بالعدوان ولو قيل ان بينهُ وبين الفيل عداوة شديدة . وقلما يهاجم احداً ولو كان مجروحاً ولكنهُ اذا هجم استعمل نابي فكهِ الاسفل كالخنزير البري . وهو يسير البختراء واذا اثير سار سيراً مسرعاً يقرب من العدو . وتلد انثاهُ فذاً ومدة حملها نحو سنة ونصف . ويعمر طويلاً فقد أُتي الى بستان الحيوانات في لندن بكركدن سنة ١٨٥٠ بقي فيهِ حيًّا حتى سنة ١٨٧٤ وأُهدي اليهِ كركدن آخر سنة ١٨٦٤ فبقي فيهِ حيًّا الى سنة ١٩٠٤

وهو ثخين الجلد فيظن لاول وهلة ان الرصاص لا يفعل بهِ لكن جلدهُ لين على ثخنهِ ولا يصلب الاَّ اذا جفَّ فتصنع منهُ التروس ويكاد يكون شفافاً. وتصنع من قرنهِ كؤُوس يزعم الصينيون انها تكشف السم

وللهنود اسلوبان لصيدهِ الاول ان يقتفي الصياد اثرهُ راكباً على فيل الى ان يصل اليهِ في حظيرتهِ فيصطادهُ رمياً بالرصاص والثاني ان يركب الصيادون على الافيال ويحيطوا بغيضتهِ ويدخل الغيضة اناس يثيرونهُ حتى يخرج منها فيصطادهُ الفيالة . لكن الافيال تخاف منهُ ولعل الذي يخيفها هول منظرهِ فلا بد من ان يكون الفيالة متمرّنين على صيدهِ حتى يقدموا عليهِ

وصف الجنرال كنلوتش صيد الكركدن الهندي فقال

« اقتفى رفاقي اثر جاموس مجروح الى غيضة كثيفة مظلمة يتعذَّر تسديد الرمي فيها فسبقَنا الصيادون الثلاثة الى الجانب المقابل من الغيضة وأُمر الفيالة ان يدخلوها ويثيروا الجاموس ليخرج منها . واقمت انا في مكاني منتظراً واذا بصوت حيوانٍ كبير يكسر الغاب في سيرهِ والفيالة تتبعهُ وهو يسير الهوينا ويقف من وقت الى آخر كأَنهُ يضرب اخماساً لاسداس فزاد قلقي لئلاَّ يجفل فيلي منهُ لكنهُ لم يجفل ولما رأَى ذلك الحيوان ان لا شيءَ امامهُ يخشى منهُ والافيال والفيَّالة تثيرهُ من ورائهِ سار نحوي الى ان اطل رأْسهُ من الغيضة على نحو عشرين يرداً مني واذا هو كركدن كبير فاطلقت عليهِ الرصاص والظاهر اني لم احكم تسديد بندقيتي او ان فيلي تحرَّك حينئذٍ فحركني لاني وجدت بعدئذٍ ان رصاصتي مست فنطيستهُ ومرَّت عند قاعدة قرنهِ ولم تؤْذهِ فاطلقت عليهِ رصاصةً اخرى دخلت بين اضلاعهِ فعاد القهقرى ودخل الغيضة وهو يشخر شخير الغيظ ففتشنا عنهُ فيها فوجدنا ان الرصاصة الثانية قد اوردتهُ حتفهُ فانهُ كان ملقى وقوائمهُ تحتهُ لاحراك بهِ »

والكركدن الجاوي اصغر من الهندي وتفاصيل جلدهِ اقل وضوحاً من تفاصيل جلد

الهندي . وانثاهُ جمَّاء لا قرن لها واكثر اقامتهِ في الحراج لا في الغياض وفي الجبال لا في السهول وقد يبلغ ما ارتفاعهُ ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ويقال انهُ اودع من الهندي واهل ملقا يد جنونهُ

والكركدن الصومتري يكون شرقي خليج بنغال وقلما يوجد في اسام وهو اصغر انواع الكركدن ولهُ قرنان وجلدهُ مغطًّى بشعر طويل وتفاصيلهُ قليلة الوضوح وقد جيء منهُ الى لندن بواحد كبير الجسم لهُ شعر ضارب الى الحمرة ورأسهُ كبير جدًّا بالنسبة الى جسمهِ فهو شبيه بالكركدن الذي وصفهُ ابن بطوطة

قال المستر برتلت ان الدياك سكان بورنيو يستطيبون لحم هذا الكركدن . والكيان وهم فريق آخر من السكان يبيعون قرنهُ للصينيين فيسحقونهُ ويصنعون من مسحوقهِ دواء او يقطعونهُ قطعًا صغيرة يتخذونها عوذًا

هذا وقد نشرنا في المجلد الرابع والثلاثين من المقتطف في فصول معجم الحيوان كلامًا مسهبًا عن الكركدن من باب لغوي وتاريخي فليراجع

الطعام المطبوخ

يظهر لاول وهلة ان البحث في هذا الموضوع من باب علمي فضول لان كل احد يعلم ما يطيب لهُ وما لا يطيب من الطعام وما ينفعهُ وما يضرهُ . بل ان النفع والضرر متوقفان على مقدار الطعام لا على نوعهِ حتى قيل قليل مما يضر ولا كثير مما ينفع . هذا فضلاً عن ان للعادة اليد الطولى في النفع والضر فقد يعتاد اناس طعامًا لا يستطيع غيرهم اكلهُ كالمش والفسيخ والسمورة والجبن الذي وقع فيهِ الدود ولحم الصيد الذي ابتدأ فيهِ الفساد والنتن والاطعمة المطبوخة بالزيت والسيرج وهلمَّ جرًّا

دُعينا مرة لاكل السمك المقدد المعروف بالملوحة فلم نكد نذوقهُ حتى اصابنا غثيان وقيء ومرَّ علينا اربع وعشرون ساعة لا نستطيع ان نذوق طعامًا . ومن الناس من اذا كان في طعامهِ شيء من البيض اعتراهُ دوار وقيء ومنهم من لا يستطيع اكل الزيتون المملح ولا الاطعمة المطبوخة بالزيت ولا بعض الخضر كاللوبياء والكرنب وما اشبه لكن ذلك كلهُ لا ينفي ان الاطعمة تتفاوت في مقدار ما فيها من الغذاء وما يغتذي بهِ الجسم منها وان معرفة ذلك مفيدة جدًّا من باب اقتصادي حتى اخذت بعض الحكومات الراقية تنفق

الاموال الطائلة على امتحان الاطعمة المختلفة امتحانًا كيماويًّا لمعرفة ما فيها من عناصر الغذاء وما يمكن ان ينالهُ الجسم منها لكي ترشد العمال والفقراء والضعفاء الى اختيار الطعام الاصلح لهم او الاقل نفقة

وكما تختلف الاطعمة في مقدار ما فيها من الغذاء تختلف ايضًا طرق طبخها اي في اعداد غذائها لتغذية الجسم او جعلهِ بحيث يتعذر على الجسم الاغتذاء بهِ والانتفاع منهُ ولذلك جعل علماء الكيمياء يبحثون في طرق الطبخ وما تفضي اليهِ من النفع او الضرر

ويراد بالطعام كل ما نأكلهُ لتغذية اجسامنا بانمائها والتعويض عمَّا يندثر منها ولتوليد الحرارة والقوة العصبية والعضلية فيها . فان الصغير ينمو باضافة اجزاءٍ الى جسمهِ تتولد ممَّا يأكلهُ . وكل عمل من اعمال الحياة تندثر بهِ بعض دقائق الجسم فيأتي بدلها دقائق اخرى من الطعام . والحرارة التي تكون في الجسم دائمًا ولا تنقص مهما اشعَّت منهُ وكان الهواء باردًا حولهُ تتولد من الطعام . والقوة العصبية والقوة العضلية اللتان نشتغل بهما اشغالنا العقلية ونعمل اعمالنا البدنية تأتياننا من الطعام فيجب ان يحوي الطعام كل ما تقدم ليغذي الجسم

ومعلوم ان الطعام لا يكون كلهُ غذاءً صالحًا بل بعضهُ فضول تؤْكل معهُ او تطرح منهُ . اما الغذاء فاهمهُ المواد التي يدخل عنصر النيتروجين في تركيبها ويقال لها المواد النيتروجينية ولها اسماءٌ مختلفة حسب مصادرها فاذا كانت في الخبز فاسمها الغلوتن اي المادة الغروية التي في الحنطة واذا كانت في العدس والفول ونحوهما من القطاني فاسمها اللغومين واذا كانت في اللحم فاسمها الفبرين ولكن يطلق عليها كلها اسم البروتين اي المواد الاولى . واذا كان عنصر النيتروجين لا يدخل في تركيبها كالنشا والسكر والدهن سميت غير نيتروجينية . وهي اما دهنية كالدهن او هيدروكربونية وقد لا تكون غذاءً كالماء والملح ولكنها ضرورية للغذاء

واول شيءٍ ينظر فيهِ اذا اريد البحث عن فائدة الطعام اي عن قيمتهِ الغذائية هو مقدار ما فيهِ ممَّا لا يؤْكل ولا ينتفع بهِ كعظم السمك وقشر البازلاَّ وحراشف الخرشوف الخارجية وهذه المواد او القشور قد تبلغ ربع وزن ما يشترى ليؤْكل ولا بد من طرحها

وينظر بعد ذلك الى القسم الذي يؤْكل من الطعام وهذا يكون فيهِ ماءٌ كثير او قليل فيزيد بهِ وزنهُ من غير نفع خاص منهُ . وزد على ذلك ان الطبخ يزيد الماء في بعض الاطعمة ويقللهُ في غيرها فمئة درهم من لحم البقر تنقص ٢٥ درهمًا بالسلق و ٣٣ درهمًا بالتحمير .

ومئة درهم من لحم الضان تنقص ٢٢ درهمًا بالسلق و ٣٤ درهمًا بالتحمير . واذا كان اللحم هزيلاً نقص بالسلق ٤٥ في المئة من وزنهِ . واكثر هذا النقص من خروج الماء منهُ ولكن بعضهُ من خروج الدهن وبعض المواد الجمادية والبروتين الذي يذوب في الماء . وقد وجد الاستاذ غرندلي ان المواد الجمادية التي تخرج من اللحم المسلوق وتذوب في الماء تبلغ ٤٤ ونصفًا في المئة مما فيهِ منها وان البروتين الذي يخرج منهُ يبلغ سبعة في المئة مما فيهِ . واذا طبخ اللحم بعد قلوهِ كما يطبخ في اليخاني عادة خرج منهُ كثير من المواد المغذية وذاب في مرقهِ. وفي الاوقية من اللحم المطبوخ غذاء اكثر مما في الاوقية من اللحم النيء لان اوقية اللحم المطبوخ اصلها نحو اوقتين من اللحم النيء فنضج ماؤُهما بالطبخ وبقي منهما نحو اوقية ولذلك تصير نسبة الغذاء فيها كثيرة

الاَّ ان لحم الحيوان الواحد يختلف كثيرًا حسب كونهِ سمينًا او هزيلاً وصغيرًا او كبيرًا فقد حلَّل بعضهم نوعًا من السمك الذي يؤْكل كثيرًا في اميركا فوجد ماءهُ يزيد حتى يبلغ ٧٩ في المئة ويقل حتى يبلغ ٧٠ في المئة وبروتينهُ يزيد حتى يبلغ ٢٠ في المئة ويقل حتى يبلغ ١٧ ½ في المئة ودهنهُ يزيد حتى يبلغ ١١ في المئة ويقل حتى يبلغ ٢ في المئة . هذا في مايؤْكل من ذلك السمك بعد طرح رأْسهِ وعظامهِ وزعانفهِ . وحلل نوعًا آخر من السمك فوجد ماءهُ يزيد حتى يبلغ ٧٩ في المئة ويقل حتى يبلغ ٦٤ في المئة وبروتينهُ يزيد حتى يبلغ ١٩½ في المئة ويقل حتى يبلغ ½ ١٧ في المئة ودهنهُ يزيد حتى يبلغ ١٦ في المئة ويقل حتى يبلغ ٢ في المئة

وكما يؤَثر الطبخ في اللحم يؤَثر في الخضر والحبوب ونحوها فقد وجد الاستاذ سنيدر في جامعة منسونا باميركا ان في كل مئة رطل من الكرنب (الملفوف) سبعة ارطال ونصف رطل من المواد الجامدة وما بقي منها ماء . واذا طبخ الكرنب فقد ثلاثة ارطال من المواد الجامدة التي فيهِ . والمواد التي يفقدها تحتوي على بروتين ومواد جمادية وهيدروكربونية . واذا طبخ الجزر بعد تقطيعهِ قطعًا صغيرة خرج منهُ عشرون في المئة الى ثلاثين في المئة من المواد الغذائية التي فيهِ وبعضها سكر وبروتين ومواد جمادية

وفي كل مئة رطل من الاسبانخ عشرة ارطال من المواد الجامدة فاذا سلقت فقدت رطلين وربع رطل منها

واذا سلق الارز وزُلَّ ماؤُهُ فقَدَ كثيرًا مما فيهِ من البروتين والدهن والمواد الجمادية لانها تكون قد ذابت في الماء ولذلك جرت عادة الجنود الهندية ان تشرب ماء الارز المسلوق وتطعم الرز نفسهُ للجنود الانكليزية . واذا سُلق الارز في قليل من الماء القدحُ منهُ

في قدحين ونصف قدح من الماء نحو عشرين دقيقة ثم تُرِك على نار خفيفة حتى « ينبت » نضج في مائهِ فسهل هضمهُ ولم يخسر شيئاً مما فيهِ من المواد المغذية . والغالب ان اوقية الارز تصير اكثر من اربع اواقٍ اذا سلقت جيداً وقس على ذلك سائر الحبوب الاَّ ان الزيادة ماءٌ يزيد بهِ الحجم والثقل ولا يزيد الغذاء

وهاك جدول بعض الاطعمة وما فيها في المئة من الماء قبل طبخها و بعدهُ

الطعام	بعد الطبخ		قبل الطبخ	
	ماء	جوامد	ماء	جوامد
لحم البقر	٥٧	٤٣	٧١	٢٩
لحم فخذ الضان	٥١	٤٩	٦٣	٣٧
لحم الحمل	٦٧	٣٣	٧٢	٨
العدس	٦٦	٣٤	١٢	٨٨
البازلا الخضراء	٨٧	١٣	٧٥	٢٥
« اليابسة	٦٢	٣٨	١٤	٨٦
البصل	٩٩	١	٨٢	١٨
الجزر	٩٣	٧	٨٦	١٤
الكرنب	٩٧	٣	٨٩	١١
الكوسى	٩٩	١	٩٥	٥
الارز	٨١	١٩	١٣	٨٧
الاروروط	٩٣	٧	١٦	٨٤

والمواد المذكورة في هذا الجدول — هي ما يؤْكل فقط لا ما يُطرح كالعظم والقشر . ويظهر من النظر اليهِ ان الغذاء يزيد بقلة الماء وزيادةُ الجوامد ولذلك ففي الرطل من العدس قبل طبخهِ ثلاثة اضعاف ما في الرطل من لحم البقر قبل طبخهِ . لكن الجوامد مختلفة التراكيب فبعضها بروتين و بعضها نشا او سكر او املاح والجسم يحتاج الى مقدار معلوم من كلٍ منها فاذا زاد النشا عن احتياجهِ وقل البروتين فلا فائدة من زيادة النشا

وقد بحث العلماء في اميركا والمانيا وسويسرا وروسيا واليابان بين اناس مختلفي الطوائف والاعمال ليجدوا كم يحتاج كلٌّ منهم من مواد الطعام . ومتوسط ذلك حسبما استخرجهُ الاستاذ

اتوتر ٥٤ درهماً في اليوم من البروتين و١٩٢ درهماً من الكربوهيدرات كالسكر والنشاء و٥٤ درهماً من الدهن لمن يعمل عملاً معتدلاً . ويمكن ابدال بعض الدهن ببعض الكربوهيدرات . وحسبوا انهُ يلزم لكل درهم من البروتين اربعة دراهم وثلاثة ارباع من الكربوهيدرات والدهن . هذا ما يحتاج اليهِ الرجل المتوسط القامة والعمل واما المرأة فتحتاج الى ثمانية اعشار ما يحتاج اليهِ الرجل

وذهب الاستاذ تشتندن من اساتذة جامعة يابل باميركا ان الانسان لا يحتاج الى اكثر من نصف البروتين المذكور آنفاً وعندهُ ان ٢٤ درهماً من البروتين في اليوم تكفيهِ ولكن لم تقم حتى الآن الادلة الكافية على صحة ذلك

واذا اريد معرفة ما في الطعام من مواد الغذاء وجب ان تحسب فيهِ وهو في الحالة التي يؤكل فيها لانهُ قد يكون جافاً قبل طبخهِ فتظهر هذه المواد كثيرة فيهِ ثم يطبخ فتقل بزيادة مائهِ كما ترى في الجدول التالي

	كما يؤكل على المائد				جاف او مجفف ومسحوق		
	ماء	بروتين	دهن	كربوهيدرات	بروتين	دهن	كربوهيدرات
العدس	٦٦	٩	..	٢٣	٢٦	½	٦٨
حب اللوبياء	٦٢	٩	½	٢٣	٢٥	٢	٦١
سمك البرك	٦٣	٣٥	½	..	٩٤	٢	..
لحم بقر مسلوق	٥٧	٣٤	٧	..	٨٠	١٧	..
عجل مقلو	٥٨	٢٩	١٢	..	٦٨	٢٧	..
لحم ضان	٥١	٢٥	٣٣	..	٥١	٤٦	..

وواضح مما تقدم ان قيمة الطعام بما فيهِ من الغذاء وان الغذاء يتوقف على نسبة ما في الطعام من البروتين فاذا اعتبرت ذلك ففي كل مئة درهم من اللحم المطبوخ نحو ثلاثين درهماً من البروتين ولكن ليس في المئة الدرهم من العدس المطبوخ سوى ٩ دراهم من البروتين فاذا وجدت غذاءً كافياً في مئتي درهم من اللحم المطبوخ لم تجدهُ في اقل من ستمئة درهم من العدس المطبوخ لكن ستمئة الدرهم من العدس كانت قبل طبخها نحو مئتي درهم فيكاد العدس يكون مثل اللحم من هذا القبيل . وهاك جدول ما في هذه المواد من الماء وعناصر الغذاء وهي في حالتها الطبيعة من غير طبخ ومن غير تجفيف

	ماء	بروتين	دهن	كربوهيدرات	الياف
لحم الثور	٧١	٢٢	٤	٠	٠٠
« العجل	٧١½	٢٠	٦	٠	٠٠
« الضان	٦٧	٢٠	١٢	٠	٠٠
العدس	١٢	٢٢	١	٢	٥٩
اللوبياء	١٤	٢١	٢	٦	٥٥

وقلة مقدار البروتين في العدس واللوبياء اذا طبخا امر نسبي فقط لكثرة ما يدخلها من الماء . وزيادتهُ في اللحم ناتجة من ان بعض مائهِ يزول منهُ بالطبخ

ويذهب اكثر الاطباء الى ان البروتين الحيواني اصلح من النباتي لتغذية الانسان وان ما في الاطعمة النباتية من الالياف يعسّر الهضم على غير فائدة . وخير الطعام ما كان ممزوجًا وفيهِ كل العناصر اللازمة للغذاء وكان مما يستطيع الجسم هضمهُ وفائدتهُ تساوي ثمنهُ

صيد الفيل حيًّا

وعدنا في الجزء الماضي ببسط الكلام على اساليب الهنود في اصطياد الافيال حية لتقوم مقام ما يموت من افيالهم . واشهر هذه الاساليب اثارة الافيال البرية قطيعًا كبيرًا فيخرج فريق الصيادين من بنغال في فصل الشتاء وفيهِ ٣٧٠ رجلاً وهم يحسبون انهم يبقون في مطاردة الافيال ثلاثة اشهر فاذا رأوا قطيعًا منها انقسموا فرقتين واحاطوا بالافيال من جهتين متقابلتين وابقوا رجالاً منهم بين الفرقتين وبين الواحد والآخر نحو خمسين مترًا فيكون منهم دائرة محيطها ستة اميال الى ثمانية . وللحال يقيمون حولهم سياجًا من نبات القنا الهندي ليكون شبه مظلة لهم في النهار . ويمنعون الافيال من الخروج منها باطلاق البنادق نهارًا واضرام النار ليلاً . ويعمل بعضهم في اقامة الحظيرة في وسط هذه الدائرة يجعلون قطرها عشرين مترًا الى خمسين وينصبون حولها اعمدة من سوق الاشجار ارتفاع كل عمود منها نحو اربعة امتار ويمكنونها بالاوتاد ويجعلون لها بابًا من احد جوانبها سعتهُ اربعة امتار يمتد منهُ الى الخارج سياجان منفرجان من الاوتاد العالية طولهُ مئة متر ويصير البعد بين طرفيهما في نهايتهما نحو خمسين مترًا واذا تمَّ ذلك جعل الصيادون يطاردون الافيال الى ان تدخل

بين السياحين المتفرجين فيتبعونها الى ان تدخل الحظيرة · ويكون لباب الحظيرة غلَق من الاخشاب الغليظة فيمكنونهُ في مكانهِ

اذا دخل قطيع الافيال الحظيرة على ما تقدم بقي ان يمسك كل فيل منهُ على حدة وهنا تستخدم الافيال الداجنة لمسك الافيال البرية فيدخل الفيل الداجن وعلى عنقهِ فيَّالهُ وعلى مؤَخرهِ رجل آخر معهُ حبل وتجعل الافيال الاليفة تغري الافيال البرية وتفصلها بعضها عن بعض الواحد بعد الآخر وكلما فصلت فيلاً عن رفاقهِ رمى الحبَّال حبلهُ حول رجليهِ وربطهما بهِ معاً ثم ربط عنقهُ واحدى رجليهِ وقادهُ الى شجرة كبيرة في الغاب المجاور وربطهُ بهِ ربطاً محكماً حيث يبقى الى ان تربط سائر افيال القطيع وبذلك يسهل اقتيادها

لكن الافيال الكبيرة الانياب قلما يتيسَّر صيدها على هذه الصورة فيستعمل لصيدها اسلوب آخر وذلك بان يُخرَج اربع او خمس من الاناث الدواجن والفيالون على ظهورها وقد ركبوا وتغطوا باحرمة تسترهم الى حيث يكون الفيل البري الكبير · وتجعل هذه الاناث ترعى كأَنها في مراعيها وليس لها غرض آخر وهي تدنو من الفيل الكبير رويداً رويداً وتتودَّد اليهِ فيقيم معها يومين او ثلاثة ويكون الفيالون قد تركوها معهُ وبقي منهم معها واحد مناوبةً فيتعب الفيل وينام فتحيط الاناث بهِ وينزل اثنان من الفيالين خلسة ويربطان رجليهِ ربطاً محكماً وقد يربطانهِ بشجرة اذا وجدا شجرة قريبة منهُ فاذا استيقظ ورأَى نفسهُ مربوطاً الى الشجرة حاول الافلات منها بكل جهدهِ واذا رأَى نفسهُ مربوط الرجلين فقط حاول الافلات ايضاً حسب الامكان لكن الاناث يتبعنهُ حينئذٍ الى ان ينهكهُ التعب فيربط الى شجرة اخرى والغالب ان يموت كثير من الافيال وهي تحاول الافلات

اما صيد الافيال بالحفر فمن اشد طرق الصيد قسوةً لكثرة ما تتكسَّر فيها عظام الفيل او تتخلع حينما يسقط في الحفرة · والغالب ان يكون عمق الحفرة ١٥ قدماً وطولها عشر اقدام ونصف قدم وعرضها سبع اقدام ونصف قدم وهم يصغرونها كذلك لانها اذا كانت كبيرة سهل على الفيل ان يحفر مخرجاً لهُ منها بنابيهِ · والفيل الهندي شديد الحذر لا يسير على جسر ما لم يختبر متانتهُ ولكنهُ يقع في الحفر بسهولة

وصيد الافيال بالوهق هو الصيد الحقيقي · يؤْتى بثلاثة افيال او اربعة سريعة العدو ويركب فيَّال على رقبة كلٍّ منها ووهَّاق على ظهرهِ وسائق على عجزهِ ويكون معهم حبل طويل غليظ مربوط حول بدن الفيل ولهُ في طرفهِ انشوطة كبيرة وهو الوهق فاذا رأَت الافيال البرية فيلاً داجناً هربت منهُ باسرع ما تستطيع فيعدو الفيل وراءها والغالب ان

يعدو فيلان وراء الفيل البري والسائقان يستحثونهما الى ان يدانياه فيرميهُ الحابل بالوهق في عنقهِ ويوقف فيلهُ عن السير واذا اوقفهُ بغتة فقد يخنق الفيل البري . وهذا الاسلوب من الصيد كثير المخاطر ولا يمسك بهِ الاَّ الافيال القليلة السرعة . واهالي سيلان يصيدون الفيل بالوهق على الاقدام يطاردهُ اثنان ويرميانهِ بالوهق ويربطان طرفهُ بشجرة

وثمن الفيل الصغير غير البالغ ١٥٠ جنيهاً وثمن الانثى الكبيرة ٢٠٠ جنيه الى ٣٠٠ وثمن الفيل الكبير النابين ٨٠ جنيهاً الى ١٦٠ جنيهاً

ويستخدم الفيل الداجن الآن في بلاد الهند لنقل الامتعة الثقيلة للجيش ولجر الخشب الى الانهار ولجر مركبات المدافع بدل الخيل ولا يستغنى عنهُ في البلاد التي لا طرق فيها او طرقها متخربة فانهُ يستخدم مثل دواب الحمل ومثل دواب الجر . ولا يزيد حملهُ على اربع مئة اقة اذا كانت الارض سهلاً وعلى مئتين وخمسين اقة اذا كانت الارض جبلية . واذا استخدم لجر الاثقال ربطت لهُ بحبل قصير فيمسك طرفهُ باسنانهِ ويرفع جانباً منهُ عن الارض ويسير بهِ بين المعلَّق والمجرور . والذكور اقوى من الاناث واكثر استخداماً وكل ما يستخدم لذلك ليس من الافيال الحسنة الخلق لان هذه يغالى بها ويقتنيها الملوك والامراء مراكب لهم ولصيد الببراي النمر الهندي المخطط

* * *

الانتقاد في بلادنا

عدم في ثوب موجود

اكثر القراء يعلمون ما هو الانتقاد ولا يجهلون المراد بهِ فلا حاجة اذاً الى تعريفهِ وهو انواع كثيرة منها الانتقاد الاجتماعي للاخلاق والعادات والانتقاد السياسي لاعمال رجال الحكومة . والانتقاد العلمي الادبي لبضاعة الكتّاب والادباء وكل ما تخطهُ اقلام العلماء وتمليهِ قرائح الشعراء والخطباء . وهو المقصود من هذه المقالة

على ان كثيرين من القراء يزعمون ان هذا الانتقاد انما وضع لتزييف أسقاط بضاعة الادب التي ذهب بها الخطأ كل مذهب حتى باتت مأكلاً للركاكة ومشرباً ومعبثاً للسخافة وملعباً . فاذا عثروا على انتقاد احد الكتب في صحيفة او مجلة حكموا عليهِ في الحال بانهُ من سقط المتاع واعرضوا عن اقتنائهِ والانتفاع بمطالعتهِ . وشيوع هذا الزعم كان من اكبر الاسباب التي اضاعت على القراء فوائد الانتقاد وشوهت محاسنهُ في عيون المؤلفين فانكروهُ ولم يشجعوا احداً من المشتغلين بهِ على نقد مؤلفاتهم كما سيأتي الكلام

ولكن مما لا ريب فيهِ ان تزييف بضاعة الادب المزجاة والتنبيه على عيوبها ومساوئها ليس من الانتقاد في شيء وانما هو عبارة عن تشهير امثال هذه المكتوبات وتحذير القراء من مطالعتها وحثهم على نبذها والابتعاد عنها · اما الانتقاد الحقيقي فالمراد بهِ معرفة الصحيح من الفاسد والجيد من الرديء · والطيب من الخبيث · فهو كير الكتابة يصهر كل مكتوب ماحصاً فاحصاً · فان كان زيفاً ظهر خبثاً في خبث والاَّ بدا غب التمحيص ذهباً خالصاً

وهذا يدلك على مبلغ فائدة الانتقاد وشدة منفعتهِ وكونهِ من اكبر عوامل التقدم الادبي واهم اركان الارتقاء العقلي . لكنك قد تسألني قائلاً اذا كان الانتقاد على ما ذكرت من المزية والاهمية فلماذا لا نرى لهُ في اللغة العربية مضرب ظلال ومسحب اذيال ؟ بل لماذا لا ينفك فيها الى الآن ميتاً في صورة حي او عدماً في ثوب موجود ؟ والجواب ان كثيرين من رجال النهضة الحديثة عنوا بهِ عناية لا توصف وبذلوا غاية جهدهم في وضع اساسهِ ورفع نبراسهِ وتنشئة اغراسهِ وهذا المقتطف شاهد على ذلك من يوم انشائهِ فذهبت اتعابهم كلها ادراج الرياح ولم تقترن مساعيهم بشيء من النجاح · ولا يبرح الانتقاد كما كان منذ نصف قرن يطلع على قدم العجز والوناء عاثراً في الجدد ومتقدماً الى الوراء

ولهذا الجمود اسباب مختلفة اتحدت على انشائهِ واشتركت في انتاجهِ واهمها : —

اولاً القراء · لا يزال عامة القراء في الشرق الى الآن يخطئون المراد بالنقد ويعدونهُ — كما تقدم الكلام — حكماً قاطعاً على كون المنقود من سقط المتاع ونفاية البضاعة فيعرضون عن شرائهِ ولا يميلون الى مطالعتهِ · ولا يخفى عليك ما ينشأ عن كساد بضاعتهِ وعدم رواجها من الضرر المادي لمؤلفهِ او ناظمهِ او طابعهِ والخسارة الادبية للقراء · لهذا السبب ترى كثيرين من جهابذة النقد يحجمون عنهُ ولا يقدمون عليهِ ضناً بشهرة المؤلفين الادبية ان يضرَّ بها الانتقاد على خلاف المراد وحرصاً على كتبهم ان ينبذها القراء فتلقى في زوايا الكساد · وليس الامر كذلك في بلاد الغرب سواءٌ كان في اوربا او اميركا · فان انتقاد المطبوعات عندهم من اكبر الذرائع لرواج سوقها ونفاد بضاعتها واقبال جماهير القراء على شرائها والاستفادة بمطالعتها · ولهذا تراهُ بينهم متسع النطاق ممتد الرواق واشج الاعراق · وهناك المنتقدون والمؤلفون والقراء جميعهم يعلمون ان النقد كير معادن العلم والادب وبهِ يتميز الذهب عن النحاس ويفرق بين الدر والخشلب

جاءني يوماً احد الادباء بنسخة من قصة ترجمها من احدى اللغات الاوربية وطلب اليَّ ان انتقدها فاجبت طلبهُ وقرأت قصتهُ بتدبر وتروٍ ووضعت فيها انتقاداً جريت فيهِ على

مقتضى الحال وراعيت مكان القراء من الفهم والزعم وجعلت كلامي تقريظاً في صورة انتقاد فعددت حسنات القصة واحدة واحدة وذكرتها مكبرة مجسمة واشرت الى ما في ترجمتها من اناقة المنحى ورشاقة الاسلوب وفصاحة التعبير وبلاغة التركيب ونوهت ببراعة ناظم عقدها وموشي بردها ثم مررت بعيوبها الطف من مرور الوسن بالاجفان وارق من خطرات نسمات الصباح فوق وجنات الافنان . وقبلما اعددت مقالتي للطبع عرضتها على صاحب القصة واخذت اراقبهُ وهو يتلوها فرأيتهُ يوشك ان يطير سروراً وابتهاجاً بمطالعة عبارات التقريظ والاطراء والمدح والثناء ولكن لما وقع نظرهُ على بعض الغلطات التي اشرت اليها حدّق اليّ وحملق ثم وجم وجوم المغيظ والمحنق ثم قال وهو يكاد من شدة سخطهِ يتمزق : — « اراك تتعمد بتخطئتي حط منزلتي عند الادباء واسقاط قصتي في عيون القراء » فعد تقريظي تخطئة لان عليهِ من الانتقاد مسحةً خفيفة لطيفة فكيف لو كان انتقاداً محضاً خالياً من اثر المهاودة والمساهلة . وحينئذٍ علمت انهُ عند ما طلب اليّ ان انتقد قصتهُ انما اراد التقريظ البحت المصطلح عليهِ في هذه الايام للايغال في اطراء المناقب والمزايا والاغضاء عن المعايب والخزايا . فاجبتهُ الى ما اراد واسفت كل الاسف على مصير الانتقاد في هذه البلاد

ثانياً **المنتقدون** . لا يخفى ان المنتقدين في الشرق كثيراً ما يحيدون في انتقادهم عن مناهج العدل والانصاف ويضربون في ترهات الزيغ والاعتساف فينتقدون لا لتأييد المبادئ الصحيحة وتعميم القواعد الصالحة وتخليص جوهر الحقائق من عرض الاوهام وحفظ موارد اللغة الفصحى مصونة على قدر الامكان من كدر لهجات العوام بل لمجرد التحذلق وادعاء التفوق في العلوم والمعارف او التحامل على الذين ينتقدون كتبهم ومؤلفاتهم وتعمد تنقصهم بنشر عيوبهم وشهر سقطاتهم اما سلاً لسخيمة او حسداً على نعمة او لغير ذلك من المقاصد الدنيئة . وقد تمادى كثيرون منهم في هذا الامر المعيب حتى علق باذهان الناس ان الانتقاد في الشرق عبارة عن قذائف مساب ومثالب وشتائم ومطاعن يترامى بها الكتّاب والادباء على اقل اختلاف او اصغر خصام فتدور على اسلات ألسنتهم وترمى عن قسي اقلامهم نائبة عن العصي والحجارة والمدى والطبنجات في ايدي العامة . فاذكر هذا بما شئت من الاسى والاسف ولا تنسَ ان المنتقدين في الغرب انما ينتقدون في الغالب لمقصد واحد — إحقاق الحق وازهاق الباطل — وهو خير الاغراض واشرف المقاصد

ثالثاً اصحاب الكتب والمؤلفات ، ويراد بهم اهل العلم والادب ومعاشر الشعراء والخطباء الذين تنشر الصحف والمجلات مقالاتهم وخطبهم وقصائدهم وتقرظ كتبهم ومؤلفاتهم

هؤلاء كلهم او جلهم شركاء القراء والمنتقدين في بقاء الانتقاد عندنا واهي القوى منحل العرى او كما يقال رث الحبال متقطع الاوصال لانهم يجارون بعض القراء في اساءة فهم المراد بهِ ويعتمدون على معرفتهم الشخصية اعتماداً يكاد يوهمهم انهم منزهون عن الخطاء ويسيئون الظن بالمنتقدين فلا يصدقون انهم يأتون الانتقاد لتمحيص الحقائق مجرداً من احد الاغراض الدنيئة التي سبقت الاشارة اليها . ومن مجموع هذه الاعتبارات الثلاثة يتولد فيهم كره الانتقاد وعدم الشعور باقل احتياج اليهِ . فاذا اتفق ان منتقداً انتقد لاحدهم مقالة او قصيدة او خطبة او كتاباً حمل عليهِ صاحب المقالة او الكتاب ولا حملة عنترة بن شداد واستخدم في تفنيدهِ ما شاء من ضروب الصلف والعناد . اني اكتب هذه المقالة وامامي عددان من احدى المجلات في احدهما انتقاد سديد لكاتب حصيف انتقد بهِ احد الكتب انتقاداً يكاد يكون تقريظاً لانهُ افتتحهُ باطراء المؤلف والثناء عليهِ والاشارة الى ما امتاز بهِ كتابهُ من ذخر الفوائد والمنافع لكنهُ المع الى بعض الهفوات التي فيهِ وذكرها بما لا مزيد عليهِ من التلطف والتأدب . وفي العدد الثاني رد لمؤلف الكتاب سلق فيهِ صاحب الانتقاد بالسنة حداد واستشهد السماء والارض بانهُ لم يجد في كل ما كتبهُ قيد شعرة عن محجة السداد

ومهما يكن من غرابة اعتقاد القراء في الانتقاد فشدة تحامل بعض المنتقدين على من ينتقدون كتبهم اعجب واغرب . واغرب منهما كليهما مجازفة كثيرين من الكتَّاب في ما يكتبونهُ بلا تثبت ولا تدبر اما لاعتقادهم في انفسهم العصمة والتنزه او لعدم ارتيابهم في صحة ما ينقلونهُ عن غيرهم . وكلا الامرين غي وغرور . واغرب من هذا كلهِ شدة عنادهم واصرارهم على ارتكاب الخطإِ الذي يبح صوتك في نهيهم عنهُ وتحذيرهم منهُ

هذه اسباب عدم تقدم الانتقاد في لغتنا . ومن رأي كثيرين من محبي هذا الفن الجميل انهُ لن تقوم لهُ قائمة عندنا الاَّ بمراعاة الامور الآتية : الاول مواصلة الكتابة فيهِ حتى يألفهُ القراء ويتعودوهُ ويدركوا كنه المراد بهِ . والثاني ان يبذل المنتقدون جهدهم في ان يكون انتقادهم حكماً صحيحاً يقضي بهِ الذهن الثاقب وعليهِ روح الاخلاص بلسان اللطف والادب ويخطهُ يراع الحق على صحيفة الصدق مجرداً من الهوى ومنزهاً عن الغرض غير متحرين فيهِ سوى جوهر الحقيقة الذي من دونهِ كل شيء عرض . والثالث ان يقلع اصحاب الكتب والمؤلفات عن الصلف والعناد ويقبلوا بالشكر تصحيح كل خطإ يدلهم المنتقدون عليهِ ذاكرين القول « اذا كان كاشف الخطإ عظيماً فالمعترف بهِ اعظم » وان العصمة والكمال لله وحدهُ وهو سبحانهُ ادرى واعلم

اسعد داغر

حقوق الامم

الحرب (تابع ما قبلهُ)

الاسرى

اما انتهاء مدة الاسر الرسمية فيكون حين تضع الحرب اوزارها وترجع المياه الى مجاريها بين الامتين المتحاربتين فيعلن السلم ويزول القتال وذلك بشروط واتفاقات سنذكرها في بابها . فترجع الاسرى الى بلادها باقرب زمنٍ لابرام معاهدة السلم

اما اسرى الجواسيس فيختلف امرهم عن اسرى الجنود فلا يعاملون معاملتهم ولا يرحمون . فان أُخذ الجاسوس وقت الحرب متلبساً بجاسوسيتهِ كان عقابهُ الموت . ويشترط في اثبات جاسوسيتهِ ان يثبتوا عليهِ انهُ كان بزيٍ مخالفٍ لزي قومهِ متخفياً عن اعين الرقباء يتسرب بين الصفوف بقصد الاطلاع على دخائل العدو ومعرفة اسرارهِ وابلاغها لقومهِ . اذا قبض عليهِ في هذه الحالة عوقب بالقتل في الحال . غيران التسرع في تنفيذ العقاب قبل الفحص الدقيق والتحقيق العادل مذموم والاصلح ان يؤتى بهِ الى امام محكمة عسكرية ويحاكم محاكمة قانونية تخولهُ حق الدفاع عن نفسهِ وهذا ما يتبعونهُ في اغلب هذه الاحوال الآن

اما اذا دخل احد الضباط او موظفي نظارة الحربية معسكر عدوهِ بملابسهِ الرسمية غير مستتر ولا متخفٍ بقصد استطلاع مقاصد عدوهِ وكشف اسرارهِ وقبض عليهِ في هذه الحالة فلا يُعد جاسوساً بل يعامل معاملة اسرى الحرب

وان فرَّ احد جنود الفريقين والتجأَ الى معسكر الفريق الآخر كان عملهُ خيانةً وجنايةً عظيمة ولكن ليس لمن فرَّ اليهم ان يسلموهُ لمطارديهِ او يعاقبوهُ بل يبقوهُ عندهم الى انتهاء الحرب ثم يتركوهُ وشأنهُ

اما السعاة وحملة البريد بين الجيش فلهم ما لاسرى الجنود من المعاملة ان قبض عليهم العدو مرتدين ملابسهم الخاصة بهم ولكن اذا كانوا قد عمدوا الى التنكر تضليلاً للعدو فيعاملون معاملة الجواسيس المتنكرين . والجرحى والمرضى ممن يؤخذون عقب القتال يجب الاعتناء بهم وتمريضهم الى ان ينالوا الشفاء فيعدوا من الاسرى . هذا محتم على المتحاربين منصوص عليهِ في قوانين الدول . وخير ما فعلهُ الناس حباً بتخفيف ويلات الحروب على المرض جمعية انشأتها سيدة انكليزية في ابان حرب القرم فنمت وانتشرت وعمت فروعها

اقطار العالم كلهِ . ومن لا يعرف الآن حسن مساعي جمعية الصليب الاحمر وما تقوم بهِ من مساعدة المنكوبين من المرضى والجرحى ممن قضت عليهم واجباتهم واضطرهم شرفهم الى خوض غمرات الحرب

اما قتلى الحرب فيناط امرهم بالفئة الغالبة فاذا انتهت المعركة أُخذوا وفتشوا وفحصت اوراقهم لمعرفة اسمائهم ودرجاتهم العسكرية فيحتفظ بما معهم من النقود والحلي لترد الى ذويهم ثم يدفنون بالاحترام اللائق بمقام كل منهم و بمرتبتهِ العسكرية وقد يصلُّون عليهم صلواتهم الدينية على قدر ما تسمح بهِ احوال الحرب ومشاقها

(٢) غير المحاربين

غير المحاربين هم الاهالي الذين لم يحاربوا العدو مباشرة . والقانون الدولي يقضي على العدو الذي دخل بلادهم منتصراً ان يصون حقوقهم المدنية صيانة حكومتهم لها فيطلق لهم حرية التملك وحرية الدين والمذهب وما اشبه . هذه حقوق وعلى الدول المتحاربة ان تتعهد بالمحافظة عليها قبل اعلان الحرب او عند اعلانها . مثال ذلك خطاب ملك بروسيا عند ما ابتدأَت حرب ١٨٧٠ مع فرنسا فانهُ قال « اني اعلن الحرب على جنود فرنسا وليس على اهلها »

ولا يجوز لمن احتلَّ قسماً من بلاد عدوهِ ابَّان الحرب ان يجبر الاهلين على القيام معهُ على دولتهم ووطنهم او ان يكرههم على اباحة اسرار يعرفونها او تفسير معاني اشارات عساكرهم واصطلاحاتهم الحربية او ان يأتوهُ بمعلومات عن اعمال مواطنيهم المشتركين في القتال الى غير ذلك من ضروب التعدي والاجحاف بالحقوق خلسة . غير ان احترام حقوق الافراد غير المحاربين لا يمنع من اجبارهم على تقديم مساعدات مالية وتكليفهم بخدمات شخصية لنقل احتياجات الجيش ولوازمهِ او نقل المرض والجرحى على مركباتهم وخيولهم بشرط عدم تعريضهم لنيران الحرب في ميدان القتال . فلا يصيبهم خطر من جراء خدمة يؤَدونها كرهاً

اما من عرض منهم خدمتهُ على جيش عدوّهِ فيعد خائناً لبلادهِ ولوطنهِ مثلهُ مثل من يتبرع بالجاسوسية على اهلهِ و بلادهِ . وليس كذلك من أُجبر على الامر اجباراً . بل تجب عليهِ الطاعة اذ ذاك فان هو اضلهم الطريق عمداً فرمى في صفوف الاعداء كان عقابهُ الموت لا محالة

وقد يحتاج العدو الداخل الى اصلاح بعض الطرق وترميمها فيجبر اهل البلاد التي دخلها على القيام بذلك وتجب عليهم الطاعة وليس لهم ان يرفضوا و يعصوا الاَّ اذا اراد ان ينشئ طريقاً جديدة او ان يحدث خطوطاً حديدية لم تكن قبلاً . فلا يعملون والحالة هذه الاَّ

مختار بن مأجورين · ولاجبار الاهالي على اطاعة الاوامر يلجأُ الجيش المحتل الى العنف والارهاب كتخويفهم بالرمي بالرصاص او الشنق ولا يحصل ذلك فعلاً الاَّ عند اشتداد العصيان واستعمال المقاومة · فيقتل الافراد المجاهرون بالعصيان كلهم او بعضهم · وليس للعدو ان يأخذ افرادًا من الاهلين وديعةً وضمانًا لاعمال مواطنيهم الباقين اذ ليس في الحرب تكافل او تضامن

ومجمل ما يقال في هذا الباب ان بين الجيش المحارب والاهالي غير المحارِبين حقوقًا وواجبات متبادلة فاذا كان من واجبات الجيش احترام حقوق الاهلين الآمنين فعلى هؤلاء احترام سلطة الجيش وكتمان حركاتهِ في غدواتهِ وروحاتهِ والاَّ فانهم يعرضون حقوقهم للضياع · فانهُ ما دامت الحرب حربًا فمن اسهل الامور احلال القوة محل القانون فيصير امر القوي حكمًا لا مردَّ لهُ يسري على الضعيف

⁂

الاحتلال البري

مصدر الحرب الطمع غالبًا وغايتها التملك ولا يتمُّ هذا الاَّ بسحق الضعيف واجبارهِ على الخضوع لارادة القوي · فيدخل القوي بلاد الضعيف او قسمًا منها ويحتلها الى حين · فيجدر بنا اذ ذاك ان نشرح ماهية هذا الاحتلال وما يخوّل للعدو الداخل من الحقوق وما يرتب عليهِ من الواجبات

(١) ماهية هذا الاحتلال

كان علماء القانون قبل القرن التاسع عشر يحسبون امتلاك بلدٍ من بلاد العدو ابَّان الحرب ممَّا يبيح للفاتح مطلق التصرف فيها · فعدّوا الارض وما عليها — حتى الشعب نفسهُ ملكاً حلالاً للجيش الغازي وذلك لانهم كانوا يخلطون بين الاحتلال الوقتي وبين التملك الدائم ولا يفرقون بينهما

اما اليوم فيميز الكتَّاب بين الامرين ولا يحسبون الاحتلال الحربي تملكاً وعليهِ فلا يعدّ القسم الذي احتلتهُ الجيوش الايطالية من طرابلس الغرب ملكاً لها الاَّ بعد عقد شروط الصلح على ذلك · اذ ليس هذا الاحتلال الاَّ حالة وقتية ناتجة عن انتصار الجيش على عدوهِ في احدى المواقع واجلائهِ الجيش الاصلي · ولكن يحق لهُ استخدام الوسائط التي من شأنها التعجيل في انتهاء الحرب سواءٌ كانت تلك الوسائط مادية او ادبية ارهابية

فاذا وضعت الحرب اوزارها وعقد الصلح تحوّل هذا الاحتلال الى تملك دائم يعطاهُ

الجيش المنتصر او رجوع الى الملكية القديمة طبقاً لشروط الصلح . فيستنتج من هذا ان الاحتلال لا يكون من شأنهِ قلب حكومة البلاد وابدالها بحكومة العدو الفاتح ما دامت الحرب ناشبةً بين الفريقين . بل جلّ ما يكون من امرهِ ان يحول بين الدولة المغلوبة وبين القسم المحتل من بلادها فيوقف تنفيذ سلطتها تنفيذاً موقتاً مع بقاء حقوقها وسلطتها معترفاً بهما حتى نهاية الحرب فاماً فقداناً كلياً واما رجوعاً الى الحالة الاصلية الاولى

وللسلطة المحتلة طرائق ثلاث في تدبير شؤُون البلاد التي احتلتها ابان الحرب

الاولى ان تبقي حكومة البلاد ونظاماتها على ما كانت عليهِ قبل الاحتلال وتكتفي بما تجنيهِ لنفسها من خيرات البلاد المادية

والثانية ان تقيم حكومة احتياطية وقتية لتدبر شؤُون البلاد على ما يوافق مصالحها حتى انتهاء الحرب

والثالثة احتلال البلاد وامتلاكها بصفة رسمية علنية تجعلها قسماً من بلادها لا يتجزأ . وهي الطريقة المتبعة في اغلب الاحيان والمسوغ لهذا الاعتبار هو ان نشوب الحرب بين الامتين مسبب في الغالب عن تنازعهما السلطة في حكومة البلاد المحتلة . ولهذا فحالما تطأُ جيوش الدولة الواحدة املاك الدولة الاخرى تعلن ضمها الى بلادها وجعلها قسماً من املاكها . ولا تقدم دولة على مثل هذا الامر الاَّ وهي واثقة من الفوز الى النهاية لان الدول المحايدة لا تعترف لها بالسيادة والامتلاك الاَّ اذا قهرت عدوتها واجبرتها على التسليم بالامر اما قهراً او تعاقداً على صلح اذ ما الفائدة من امتلاك لا يدوم الاَّ بدوام الحرب وبارض لا تمتلك الاَّ امتلاكاً وقتيا

ذلك ما فعلتهُ المانيا بالالزاس واللورين في الحرب السبعينية فانها اعلنت ضمها الى بروسيا حالما دخلتها الجيوش الالمانية ولم تعترف لها فرنسا بذلك الاَّ بعد ان غُلبت على امرها فوقّعت معاهدة فرانكفورت ولا تزال الحزازات المؤْلمة في صدرها لليوم من جراء تلك المعاهدة

وهذا ما فعلتهُ ايطاليا اليوم بطرابلس الغرب فانها احتلت بعض موانٍ ثم اعلنت ضم الولاية الى املاكها فلا تركيا رضيت بالامر ولا الدول صادقت على هذا التملك وسيبقى الامر موقوفاً الى ان تضع الحرب اوزارها

ومجمل القول ان الاحتلال الحربي الموقت لا يتم الاَّ بشرطين نصّت عليهما المادة الاولى من قرار مؤْتمر بروكسل سنة ١٨٧٤ وهذا نصها :

« يبتدئُ احتلال البلاد متى اصبحت تحت سلطة عساكر العدو فعلاً . ولا يمتدُّ

الاحتلال الاَّ الى حين يكون في استطاعة العدو استعمال تلك السلطة »

وعليهِ فالشرطان هما

(اولاً) ان تكون حكومة البلاد الاصلية عاجزة عن تنفيذ سلطتها بالفعل

(وثانيًا) ان تتهيأ للقوة المحتلة اسباب تنفيذ سلطتها هي بدلاً من سلطة الحكومة السابقة

ولذلك يجب على المحتلين اعلان سكان البلاد المحتلة برغبتهم في الاحتلال وفي ما ينتج عنهُ من التغيير والتبديل بالنظامات المألوفة مما يحدو بنا الى البحث عن نتائج الاحتلال البري

سامي الجريديني المحامي

وصف الطبائع لثيوفراستس

(٣) في المكثار

المكثار هو الذي يندفع في الكلام كالسيل الجارف فاذا حدثتهُ في امرٍ او قصصت عليهِ خبراً اجابك على الفور : « لقد علمتُ كل ذلك وان شئت ان تعيرني سمعك اخبرتك الامر بحذافيرهِ » واذا حاولت استئناف الكلام اسكتك بقولهِ « قد سبقت فقلتَ ذلك فعليك اذاً الاَّ تنسى شيئاً مما قلت . حسن جداً . اراك يا صاح قد رجعتَ بي الى حقيقة الحادثة وما ذلك الاَّ نتيجة حسن التفاهم الذي يؤدي الى الحقيقة . او هو يقول لك : « لقد فاتني شيء لم اقلهُ لك وكنت اود ان اعرف اذا كان مطابقاً لما علمتُ » فبمثل هذه العبارات يمنعك المكثار عن الكلام ولا يمهلك حتى تتنفس وبعد ان يقتل بثرثرتهِ جميع الذين تحدثوا معهُ يذهب فينخرط في سلك جماعة من ذوي الوقار يتذاكرون في امورٍ جدية فيفرقهم شذر مذر ثم يدخل المدارس واماكن الالعاب فيلهي الاساتذة عن العمل بالاحاديث الباطلة ويمنع التلاميذ من تلقي دروسهم . واذا همَّ احدهم بالانصراف لحق بهِ ولم يفارقهُ حتى تطأ قدمهُ عتبة دارهِ . ويفشي كل ما يقال في المحافل والجمعيات ويندفع فيروي لك اخبار الحروب التى نشبت بين الشعوب ثم ينتقل في حديثهِ الى موضوع آخر فيخبرك انهُ التى خطاباً بالمعنى الفلاني قابلهُ الجمهور بالتصفيق الحاد ويعيد لك قسماً عظيماً منهُ ويخلط في كلامهِ المزعج الحابل بالنابل فينقض على الشعب بالتعنيف فيستولي النعاس على بعض السامعين ويفر البعض الآخر من وجههِ وليس بين جميع الحاضرين من يذكر كلمة واحدة مما قال . واذا اتفق وجودهُ في المحكمة شوش على القضاء واهلهِ او وُجد في الملاعب العمومية منع الحاضرين

من مشاهدة الممثلين واستماعهم · وهو يعترف لك بكل صراحةٍ و بسالة نفسٍ انهُ لا يستطيع السكوت عن الكلام بل لا بدَّ للسانهِ ان يتحرك في حلقهِ كما يتحرك السمك في الماء · يقول ذلك غير هياب ولا وجل وغير مبالٍ بسهام التقريع والاحتقار التي يرميهِ بها القوم · واذا جاء وقت النوم استدعاهُ اولادهُ وطلبوا اليهِ ان يقص عليهم ما يساعدهم على المنام فلا يزال يحكي لهم القصة تلو الاخرى حتى تكتحل اعينهم بالكرى

في تلفيق الاخبار

المخبر هو الذي يلفّق الاحاديث والحوادث الكاذبة على ما شاء وشاء لهُ الهوى فاذا صادف احد اصحابهِ حدَّق اليهِ ثم خاطبهُ متبسماً بقولهِ : « من اين آتٍ يا صاح · ما وراءك يا عصام · أليس عندك شيءٌ من الاخبار ؟ يا للعجب وكيف ذلك مع ان هناك اخباراً مدهشة ؟ » يقول لهُ ذلك ولا يمهلهُ حتى يجاوبهُ ثم يعاود الكرَّة قائلاً : « اذاً هلاَّ سمعت شيئًا في البلد ؟ اراك يا صاح لا تدري شيئًا وها انا متحفك باخبار جديدة ذات شأن فاعرني سمعك » · ثم يجعل يُقصّ عليهِ من الاكاذيب اموراً كثيرة و يعزوها الى اشخاص مختلفين لا اثر لهم في عالم الوجود حتى يأمن شر الفضيحة والعار · واذا ابدى السامع عجبًا لاكاذيبهِ او ارتيابًا في امرها اسرع فقال ان الخبر قد شاع وذاع وملأَ الاسماع وان جميع الناس يلهجون بهِ بلا استثناء وانهُ خبر قرأهُ على وجوه الولاة والحكام وانهُ تلقاهُ من رجل قد شهد الحادثة بنفسهِ فلم يبقَ مجال للشك ثم يأسف للحادثة و يتحسَّر على زيد وعمرو من الناس ويقول لصاحبهِ انهُ لم يطلع احداً سواهُ على ذلك السرّ وانهُ يجب عليهِ حفظهُ طي الكتمان بينما هو يطوف في المدينة فيذيعهُ بين الملا و يعلنهُ على رؤُوس الاشهاد

قال الفيلسوف · اني لاعجب من رواة مثل هذه الاخبار ولا ادري الغاية التي يرمون اليها بها اذ فضلاً عن ان الكذب من العيوب الدنية فاني لا ارى لذويهِ اقل نفع منهُ بل ارى بالعكس ان بعضهم قد فقد ثيابهُ في احد الحمامات بينما كان منهمكاً في سرد الاخبار والبعض الاخر ممن حازوا قصب السبق في ميدان المقال قد دفع غرامةً الى الحكومة لانهُ تخلّف عن الحضور في دعوى اقيمت عليهِ · وبعضهم قد استولى في يومهِ على مدينة بكاملها بسحر بيانهِ وطلاقة لسانهِ ولكنهُ لم يأكل في ذلك اليوم ولم يشرب · واظن انهُ ليس اشقى ولا اتعس من اولئك الناس اذ ما من مكان عمومي او خصوصي الاَّ طرقوهُ فاصموا باقاويلهم الملفقة الآذان والاسماع او حملوا السامعين أَلم الضجر والصداع

في الوقاحة الناشئة عن البخل

هي رذيلة تحمل صاحبها على الاستخفاف بالشرف وعدم الاكتراث لمطاعن التي تصيبهُ حبًّا بمنفعةٍ دنيئة ينالها · فالرجل الذي البسهُ البخل ثوب الوقاحة هو الذي يقدم على اقتراض دراهم من بعضهم فوق الذي اقترضهُ منهُ سابقًا ولم يزل مديونًا لهُ بهِ بلا مسوغ· وهو الذي اذا قرب القرابين للآلهة لا يأكل في بيتهِ قسمًا منها عملاً بالتقاليد الدينية (١) بل يملح لحوم الذبائح للاغتذاء بها في عدة مآكل ثم يذهب فيتعشى عند احد اصدقائهِ ولا يكتفي بنفسهِ بل ينادي خادمهُ وهو على المائدة فيدفع اليهِ امام الحاضرين قطعة من اللحم والخبز قائلاً لهُ «كُلْ يا صاح من هذا الطعام الشهي»· وهو الذي يذهب الى السوق فيشتري لحومًا مطبوخة وقبل ان يؤدي ثمنها يذكّر صاحبها بفضلٍ سابق لهُ عليهِ ليتمكن بهذه الطريقة من اخذ البضاعة بارخص من ثمنها · وبينما هو يزن تلك اللحوم يسوقهُ الطمع الى أخذ كل ما وصلت اليهِ يدهُ علاوةً على حقهِ فاذا ابى البائع عليهِ تلك الزيادة فلا اقلّ من ان يجمع بعض العظام ويضعها في الميزان حتى اذا اكتفى وسدَّ بها طمعهُ لاحت عليهِ علامات الرضى والسرور واذا لم يتمكن مما يريد التقط قطع اللحم المبعثرة في الدكان ثم ابدى ابتسامة وانصرف واذا دفع اليهِ بعض الناس دراهم ليستأجر لهم مواضع في احد الملاعب بذل كل ما في وسعهِ كي يحفظ لهُ ولاولادهِ ومعلميهم ايضًا محال بلا اجرة· وهو يشتهي كل شيءٍ ويريد الانتفاع بكل رخيص: واذا اتفق وجودهُ في احد المنازل استعار من اصحابهِ الشعير والتبن وحمّلهم فوق ذلك نفقة نقلها الى دارهِ · واذا دخل حمّامًا تناول اناء غيرهِ من المستحمين فملأهُ ماء وصبهُ على جسمهِ (٢) ثم صاح قائلاً : «ها انا قد اغتسلت بقدر ما تمسُّ اليهِ الحاجة ومن غير ان احمّل نفسي منّةَ احد» ثم يرتدي ملابسهُ ويتوارى عن الابصار

في الاقتصاد الموصوم بالشحّ

يقوم هذا الضرب من البخل بالحرص على احقر الاشياء وادناها لغير مقصدٍ شريف · فمن هذا القبيل ترى بعض الملّاك الذين يقبضون اجور منازلهم شهريًا يذهبون الى الساكنين فيطالبونهم بفلسٍ ناقصٍ من اجرة سالفةٍ قبضوها · ومن اولئك الاشحاء مَن اذا دعا احدًا الى الطعام صرف همهُ الى عدّ جُرع الماء الذي يشربهُ · وهم الذين اذا اعدّوا وليمةً بعثوا

---

(١) هذه العادة كانت شائعة عند قدماء اليونان

(٢) كان فقراء الشعب الاغريقي يستحمون هكذا كي يدفعوا اجرة قليلة

باصغر قطعة من اللحم الى هيكل ديانا (١) كما انهم يقدّرون الاشياء باقل من قيمتها ويزعمون انهم ابتاعوها باثمانٍ فاحشة مهما حاول الباعة اقناعهم بانهم انما باعوهم اياها رخيصة. وهم قساة القلوب مع خدامهم بمعنى انهُ اذا كسر الخادم عن غير قصدٍ اناءً او وعاءً حصلوا ثمنهُ من اكلهِ وشربهِ واذا اضاع نساؤُهم فلساً واحداً قاموا لهُ وقعدوا فقلبوا الدار رأساً على عقب ونقلوا الاسرة والفرش والصناديق والامتعة والاثاث من مواضعها وفتشوا في جميع جوانب الدار واركانها. واذا باعوا شيئاً للغير وضعوا نصب اعينهم الربح لهم والخسارة للمشتري. والويل كل الويل لمن يجني من بستانهم ثمرةً او غصناً صغيراً من الاغصان او يمر بحقلهم. وهم يذهبون كل يوم للتنزه في ضياعهم فيلاحظون اذا كانت الحدود لم تزل كما هي بلا تغيير. واذا اجلوا مديونيهم في وفاء ما عليهم فلا يفعلون الاَّ طمعاً بابتزاز الربا من الربا واذا دعوا بعض اصحابهم من عامة الشعب الى المائدة قدموا لهم ابسط المأكول وارخصهُ. وهم هم الذين يقولون لنسائهم « لا تتعودنَ اعارة ملحكم وشعيركم وطحينكم ولا قطنكم وصوفكم ولا شيء آخر مما يؤْكل ويلبس لان من هذه الدقائق يتكوَّن في آخر السنة مجموع عظيم ». وجملة القول ان لاولئك الاشحاء عدة مفاتيح علاها الصدأ ولم يستعملوها وصناديق يخزنون فيها فضتهم ويتركونها مقفلة في ركن غرفتهم حتى تنبعث منها رائحة العطن. وهم يرتدون ملابس قصيرة وضيقة ويخلعون نعالهم في منتصف النهار حرصاً عليها من البلى ويحلقون رؤُسهم حتى الجلد ولا يشعلون قناديلهم الاَّ بمقدار قليلٍ من الزيت يكاد لا يكفي لاضاءتها ويذهبون الى صانعي الملابس فيسأَلونهم ان يكثروا من وضع الطباشير في الصوف حتى لا تظهر الاوساخ عليها كثيراً

سليم عوّاد

---

(١) كان قدماء اليونان يفتخرون ولاتهم بمثل هذه القوانين. اما هيكل ديانا او ارطميس – الهة القنص – فكان من غرائب الدنيا السبع

الحياة وماهيتها ومنشأُها وحفظها

(تابع ما قبلهُ)

تطبيق مذهب الارتقاء على منشإِ الحياة

اظن ان معظم الحاضرين هنا يعلمون بوجه الاجمال مدار مذهب الارتقاء . ذلك المذهب الذي افضى قبولهُ العام الى تغيير هيئة البيولوجيا وكل فروع العلوم الطبيعية الاخرى تغييراً تامًّا في الستين سنة التي مضت ومن جملتها الفلك والجيولوجيا والطبيعيات والكيمياء . فان كان بين الحاضرين من يجهلهُ فاني اشير عليهِ بمطالعة كتاب صغير الفهُ الاستاذ جد وسماهُ « مجيء الارتقاء » . وقد صدر هذا الكتاب اخيراً على هيئة كتاب من كتب التدريس في جامعة كمبردج . ولست اعلم بكتاب مثلهِ شُرِح فيهِ الموضوع بما شرح فيهِ من الجلاء والايجاز . ومع ان المؤلف لم يبدِ فيهِ رأياً بان الحياة على الارض نشأَت بالارتقاء من المادة غير الحية الاَّ انهُ يستحيل ان يقرأَهُ احد او ان يقرأَ ما يشابههُ من الشروح التي تظهر وحدة الارتقاء من دون ان يستنتج ان الحياة نشأَت على طريقة الارتقاء نفسها فان هذه الطريقة آخذ بعضها برقاب بعض بلا استثناء ولا انقطاع في سيرها . فاذا نظرنا الى ارتقاء المادة الحية معتمدين على ما استفدناهُ من درس ارتقاء المادة عموماً استنتجنا انها نشأَت لا بتغيير فجائي ناجم عن فعل قوة طبيعية او فوق الطبيعة بل بتغيير تدريجي من مادة لا حياة فيها الى مادة متوسطة بين المادة غير الحية والمادة الحية الى مادة مستوفية كل الخواص التي نقرنها بكلمة « الحياة » . فبناء على ذلك نتساءل أَلا يجب علينا بدلاً من انتظار الانتقال الفجائي من حالة غير آلية او على الاقل من حالة غير منظمة الى حالة آلية منظمة ومن حالة لا حياة فيها على الاطلاق الى حالة مستكملة الحياة ان ننتظر انتقالاً متدرجاً من المادة غير الآلية الى المادة الآلية وسط ادوار تزداد تركيباً حتى تصل المادة الى الدرجة التي يمكن ان يقال انها اصبحت فيها حية . أَو لا يجب علينا عوضاً عن البحث عن احياء كاملة الخلقة في آنية مسدودة سدًّا محكمًا ان نبحث في الطبيعة نفسها في احوالها العادية عن ادلةٍ على وجود اشكال متوسطة بين الجمادات والاحياء مرَّت عليها المادة في الماضي او تمر عليها الآن في تحولها من جماد الى مادة حية

وواضح انهُ يعسر علينا بل يستحيل ان نجد في تاريخ الارض ما يثبت حدوث مثل هذا

النشوء لان المادة المتوسطة المفروضة والمادة الحية التي نشأت منها في البدء ربما كانتا على هيئة ذرات حية منتشرة لا ترى بالمكرسكوب لصغرها كما ارتأى مكالم ولو فرضنا انها لم تكن منتشرة بل كانت متجمعة كتلاً فانَّ هذه الكتل لا يمكن ان تكون طبيعياً اكثر من كتل هلامية مائية لا تترك اثراً ظاهراً في الطبقات الجيولوجية . وقد تكون ملايين الملايين من السنين قد انقضت قبلما ابتدأ ان يتولد لها شبه هيكل بهيئة اشواك كلسية او سيليكية فتتمكن «الحياة» بواسطتهِ من ترك اثر جيولوجي ولكن بعد ان يكون قد مضى على نشوئها زمن مديد . فنرى مما تقدَّم اننا اذا حاولنا تتبع نشوء المادة الحية الى اولهِ في تاريخ الارض اعترضنا حاجز لا نستطيع معرفة ما وراءهُ . واذا اقتصرنا على الفرض بان نشوء الحياة لم يحدث الاَّ مرة واحدة في تاريخ الارض فقد يتعذَّر علينا حل هذه المسأَلة . ولكن هل يسوغ لنا ان نفرض انَّ المادة الحية لم تنشأْ من الجماد الاَّ في زمن واحد كأَن المادة والاحوال كانت موافقة لمثل ذلك النشوء وقتئذٍ من باب الصدفة . وهل من سبب مقبول يحملنا على الاستنتاج بان احوال الارض في الماضي كانت اكثر موافقة لنشوء الحياة ممَّا هي الآن . اني بحثت عن مثل هذا السبب ولكن على غير جدوى فاذا لم نجد ذلك السبب اضطررنا ان نستنتج ان نشوء المادة الحية من الجماد حدث اكثر من مرة بل ليس هناك ما يثبت ان هذا النشوء غير حادث الآن ايضاً . نعم اننا لم نجد حتى الآن ما يدل على حصول ذلك ولا رأَينا المادة وهي تتحوَّل هذا التحول . ولكن أَليس الواقع اننا لم نبحث حتى الآن عن الادلة التي من شأْنها ان تمكننا من البت في هذه المسأَلة . ولا ريب انهُ اذا كانت الحياة آخذة في النشوء من الجماد فما ينشأُ منها ابسط جدًّا من كل انواع الحياة التي شوهدت حتى الآن — وهو في مادة لا نعلم هل يجب ان نسميها حية او غير حية حتى ولو تبينَّاها وقد لا يمكن ان نراها ولو بعد ان نتحقق وجودها . على انهُ يمكننا ان ننظر بعين العقل ونتبع بمخيلتنا ما يمكن ان يكون قد حدث او لا يزال يحدث من تحول الجماد الى مادة حية فانهُ ليس بين مبادىء النشوء ما هو اوطد اساساً من المبدإِ الذي قال بهِ السر تشارلس ليل «اعظم جيولوجيي زمانهِ» كما وصفهُ هكسلي واصاب . وهذا المبدأُ هو انهُ يجب ان نفسر تاريخ كرتنا الارضية الماضي بتاريخها الحاضر وان نبحث عن تعليل ما حدث بدرس ما يحدث الآن وانهُ اذا تماثلت الاحوال فما حدث في زمن من الازمان يحدث في زمن آخر على الراجح

وناموس النشوء عامٌّ فالمواد غير الآلية في الكرة الارضية في تحول مستمر فتتأَلف دائماً مركبات

كيماوية جديدة وتنحل مركبات قديمة وتظهر عناصر جديدة وتزول عناصر قديمة فلا عجب اذا تساءلنا لماذا يكون احداث الحياة وحدهُ دون سواهُ خاضعاً لنواميس غير النواميس التي احدثت اشكال الجماد المختلفة ولا تزال تحدثها ولماذا لا يحدث الآن او في المستقبل ما حدث في الزمن الماضي . واذا كانت المادة الحية قد نشأت من الجماد في الماضي ساغ لنا بل وجب علينا ان نستنتج ان نشوءها ممكن في الحاضر والمستقبل . اما مسألة الزمان والمكان اللذين حدث فيهما هذا التحول من الجماد الى المادة الحية اول مرة او استمر فيهما او لا يزال يحدث فيهما فمن المسائل التي تعادل صعوبتها لذة البحث فيها ولكن لا يحق لنا ان نفرض انها غير قابلة الحل

ولما كان الماءِ اكبر الاجزاء التي تتألف منها المادة الحية وكانت اول الاحياء التي اكتُشف اثرها في الطبقات الجيولوجية من التي تعيش في الماء ظن الجمهور ان الحياة لا بدَّ ان تكون قد ظهرت في اعماق البحر اولاً . ولكن هل هذا الظن صحيح . أليست اليابسة مساوية للمياه المحيطة بها في احتمال نشوء المادة الحية من الجماد عليها . فان كل تحوُّل كيماوي تقريباً يمكن ان يحدث في الارض وهي معرضة اكثر جدًّا من المواد الذائبة في ماء البحر لتقلبات الرطوبة والحرارة والكهربائية والنور التي لها فعل كبير في احداث التغييرات الكيماوية . على انهُ سواءٌ ابتدأت الحياة بهيئة مادَّة هلامية بسيطة في اعماق البحر او على سطح اليابسة فالوقوف على آثارها عند ابتدائها متعذر على الجيولوجي . واذا كانت لا تزال تنشأ الآن في نفس الاحوال التي كانت تنشأ فيها فانهُ يكاد يتعذَّر على المكرسكوبي ايضاً ان يتتبع نشوءها فلذلك يستبعد وقوفنا على ادلة تثبت حدوث مثل هذا التحول من الجماد الى المادة الحية في الطبيعة ولو وقع امام عيوننا

وهناك اعتراض ظاهر على رأي الذين يرون ان المادة الحية نشأت من الجماد اكثر من مرة وهو انهُ لو كان الامر كذلك لاظهرت الآثار الجيولوجية اكثر من سلسلة بلينتولوجية واحدة . غير ان هذا الاعتراض مبني على الفرض بان النشوء يجري في كل الاحوال على طرق واحدة و يسير نحو غرض واحد وهو فرض اقل ما يقال فيهِ انهُ غير مرجح . ولو وجدت سلسلة اخرى للاحياء غير السلسلة المعروفة ولم يتجاوز نشوء الموجودات الحية البروتستا وهو ما يحتمل ان يكون قد حدث لَمَا بقيت على ذلك ادلة جيولوجية ظاهرة ولما امكن اكتشاف مثل هذه الادلة الاَّ بالبحث عنها بحثاً خاصاً دقيقاً . ولست اقصد التقليل من اهمية الاعتراضات التي يعترض بها على رأي القائلين بان نشوء الحياة ربما كان قد حدث اكثر من مرة واحدة او انهُ قد يكون جارياً الآن . على انهُ يجب ان لا نجهل ان الاعتراضات التي يعترض بها على

فرض الذين يفرضون ان الحياة لم تنشأ الأ مرة واحدة اعتراضات لا تقل وجاهة عن تلك . ولو كان مذهب احتمال نشوء المادة الحية اكثر من مرة قد شاع اولاً لكنت اشك في ما اذا كان قد رسخ في اذهان البيولوجيين ما رسخ من الاعتقاد بان الحياة لم تنشأ على الكرة الارضية الأ مرة وذلك نظراً الى شدة قابليتنا للتأثر بالمؤثرات التي تعرض علينا في طفوليتنا العلمية

خطوات اخرى في نشوء الحياة

فاذا فرضنا ان المادة الحية نشأت نشوءًا — ولا فرق في فرضنا هذا الآن بين نشوئها مرة واحدة او اكثر من مرة — وكان ذلك على الصورة المشار اليها اي ككتلة هلامية لها خاصة التمثيل (اي اخذها الغذاء وجعلهُ مثلها) وبالتالي النمو فان التوالد يتم بطبيعة الحال لان كل المواد التي من هذا النوع — سائلة كانت او نصف سائلة — تنزع الى الانقسام متى زاد جرمها عن حد معين فتنقسم الى اقسام منفصلة ومتساوية تماماً او تقريباً او يكون انقسامها على هيئة التبرعم . وفي الحالتين يكون القسم المنفصل مشابهاً للاصل الذي انفصل عنهُ في خواصهِ الكيماوية والطبيعية ومقدرتهِ على تناول المواد المناسبة من الوسط المحيط بهِ وتمثيلها والازدياد في الجرم وانتاج امثالهِ ايضاً بالانقسام . فمتى ظهرت الحياة انتشر منها بهذه الطريقة احياءٌ بسيطة تملأ الارض تدريجاً ونشأت كل اشكال الاحياء بمقتضى نواميس النشوء والارتقاء التي لا بدَّ من ان تجري مجراها . وما الصعوبة الأ في الخطوة الاولى

ويمكننا ان نتبع بمخيلتنا انفصال جزء من المادة الحية البسيطة زاد فيهِ الفوسفور عن غيرهِ من الاجزاء وصار اشبه بالبروتوبلاسما على ما نعرفها في الاحياء . وقد تمر ملايين الملايين من الاجيال قبل ان يتخذ هذا الجزء شكل النواة تماماً ولكنهُ يكون مؤلفاً من مواد مشابهة في تركيبها وصفاتها للمواد التي تتألف منها نواة الخلية . وفي مقدمة تلك الصفات صفة الكاتاليزس اي وظيفة احداث تغييرات كيماوية كبيرة في المواد التي تلامسها من دون ان يطرأ عليها هي تغيير دائم . وقد تكون المادة الحية قد قامت بهذه الوظيفة مباشرة او بواسطة الخمير السابق ذكرهُ وهو هلامي ايضاً ولكنهُ ابسط تأليفاً منها ويختلف عن العوامل التي يستخدمها الكيماويون لاحداث تلك التغييرات الكيماوية بانهُ يحدث فعلهُ على درجة حرارة ادنى من الدرجة التي تقتضيها تلك العوامل . وفي اثناء سير النشوء تتكون انواع خصوصية من الخمير موافقة لاحوال خصوصية من احوال الحياة وحينما تظهر هذه التغيرات ونحوها تتنوع المادة الحية الاصلية تدريجاً وتثبت فيها المميزات التي تميز افرادها بحيث تصبح ذات صفات خصوصية معينة . فيمكننا ان نتصوَّر انهُ نشأ من المادة الحية البسيطة الخالية

من التنوع احياء بسيطة ذات تنوع تقابل بادني اشكال البروتستا. ولكن لا سبيل الى معرفة الزمن الذي استلزمهُ الوصول الى هذه الدرجة · ولو حكمنا بمقتضى الادلة التي تبدو لنا من نشوءِ الاحياء العليا لظهر انهُ لا بدَّ من زمن طويل جدًّا حتى لظهور هذه الدرجة البسيطة من النشوء

تأليف الخلية ذات النواة

اما الدور الثاني المهم في سير النشوء فهو انفصال المادة النوائية المنتشرة او المتجمعة تجمعاً غير منتظم وتشكلها بحيث تصبح نواة معينة تدور حولها في المستقبل كل اعمال الجسم الحي الكيماوية · وسواء كان هذا التغير قد حصل بانفصال بطيء وتدريجي او حدث دفعة واحدة كما يحدث في الطبيعة احياناً فان النتيجة تكون ترقية الجسم الحي الى حالة خلية كاملة ذات نواة وذلك ارتقاء كبير في التركيب وفي ما هو اهم منهُ ايضاً وهو المقدرة على النمو والارتقاء في المستقبل · فالحياة قائمة الآن في الخلية وكل حي ينشأُ من هذه الخلية يكون اما خلية او مجموع خلايا

نشوء الاختلافات الجنسية

ثم بعد ظهور النواة — بمدة لا يمكن تقديرها — ظهرت ظاهرة اخرى وهي تبادل الخلايا للمواد النوائية احياناً فنشأت طريقة التوالد بالتزاوج على هذا الوجه · وقد يحدث هذا التبادل في البروتستا المؤلفة من خلية واحدة بين اي خليتين يتألف منهما فصيلة واحدة ولكنهُ في المتازُوَى المتعددة الخلايا يصبح خاصاً ببعض الخلايا كغيرهِ من الوظائف · ونتيجة هذا التبادل تجديد الشباب مع زيادة في النزعة الى الانقسام وانتاج افراد جديدة · وذلك عائد الى ادخال عامل كيماوي منبه او كاتاليزي في الخلية التي يجدد شبابها كما اثبتت تجارب لويب التي تقدمت الاشارة اليها · نعم ان المادة الكيماوية التي تدخل الى الخلية الجرثومية في تلقحها بخلية اللقاح مصحوبة عادة بعناصر مورفولوجية معينة تتحد مع عناصر اخرى في الخلية الجرثومية وتلك العناصر المورفولوجية يظن ان انتقالها من الخلايا الابوية متعلق بانتقال الصفات الابوية ولكن يجب ان لا يبرح من البال ان هذه الصفات المنتقلة قد تكون متعلقة بخواص كيماوية معينة في العناصر المنتقلة او بعبارة اخرى ان الوراثة ايضاً من المسائل التي ننتظر ان يحلها لنا الكيماويون في المستقبل

الحياة الشاملة

لقد كان معظم بحثنا حتى الآن مقصوراً على الحياة كما نجدها في ابسط اشكال المادة الحية

وهي احياء اكثرها مكرسكوبية وليست حيوانية تماماً ولا نباتية تماماً وقد جعلها هكل مملكة منفصلة من ممالك الاحياء تحت اسم بروتستا . على ان الذين لم يألفوا المكرسكوب لم يعتادوا ان يقرنوا كلمة « الحياة » باجسام حية مكرسكوبية سواء كانت هذه الاجسام على شكل خلايا او على شكل ذرات صغيرة جداً من المادة الحية لم ترتقِ بعد الى مصاف الخلايا . واكثرنا يتكلم عن الحياة ويتصورها كما تظهر فينا وفي الحيوانات الاخرى التي نعرفها وكما نجدها في النباتات حولنا . ونعلم بوجودها في هذه الاحياء من احتوائها بعض الخواص — كالحركة والتغذية والنمو والتوالد . ولسنا نعلم بالبداهة ولا يمكننا ان نتحقق بلا استعمال المكرسكوب ان اجسامنا واجسام كل الاحياء العليا سواء كانت حيوانية او نباتية مؤلفة من خلايا من ذوات النواة وكل خلية منها مكرسكوبية ولها حياة خصوصية وكذلك لا يمكننا ان نعلم بالبداهة ان ما نسميهِ حياة ليس خاصة واحدة لا تتجزأ ويمكن اطفاؤُها بنفخة كلهيب شمعة بل هو مجموع حياة ملايين عديدة من الخلايا الحية التي يتألف الجسم منها

ولم يكتشف ان الجسم مؤلف من خلايا الاَّ منذ زمن قصير وقد حدث هذا الاكتشاف على عهد بعض الحاضرين هنا بل ربما كانوا يذكرون حدوثهُ . فما اطول المسافة التي قطعناها من ذلك الحين في سبيل معرفتنا للاجسام الحية . ولقد تقدمت العلوم الميكانيكية في القرن التاسع عشر تقدماً عظيماً بحيث صار ذلك العصر يعدُّ عموماً عصر ارتقاء لم يسبق لهُ مثيل ومع ذلك فهذا التقدم لا يحسب شيئاً في جنب تقدم البيولوجيا وشأنهُ لا يقاس بشأن ما عُرف في تلك المدة من الحقائق المتعلقة بظواهر الحياة ومن اكبر هذه الحقائق شأناً اكتشاف تأليف النباتات والحيوانات من الخلايا

نشوء مجموع الخلايا

فلننظر الآن في كيفية نشوء مجاميع الخلايا من اجسام مؤلفة من خلية واحدة . فهناك طريقتان ممكنتان وهما اولاً اتحاد عدد من الخلايا التي كانت منفصلة قبلاً وثانياً انقسام خلية واحدة الى اقسام من دون ان تنفصل تلك الاقسام بعضها عن بعض . ولا ريب ان مجاميع الخلايا نشأت في الاصل على الطريقة الثانية لانها تنشأ الآن عليها ونحن نعلم ان تاريخ حياة الفرد عبارة عن مختصر تاريخ حياة النوع . وقد كانت هذه المجاميع جامدة في البدء والخلايا متلاصقة بل متواصلة ثم تكوَّن فراغ في داخل الكتلة فتحولت بذلك الى كرة مجوفة. وكانت كل خلايا المجموع في البدء متماثلة تماماً في البناء والوظيفة فلم يكن ثمَّ توزيع في الاعمال بل كانت كل الخلايا تشترك في احداث الانتقال من مكان الى آخر وتتلقى المؤثرات من

الخارج وتتناول المواد المغذية وتهضمها فتدخل هذه المواد بعد ذلك الى فراغ الكرة مؤونة عامة للتغذية . ولا يزال مثل هذه الاحياء موجوداً ومنها ادنى طبقات المتازُوَى . ثم انخفض جانب من الكرة فصارت بهيئة فنجان فتغيَّر شكل الفراغ في داخلها تغيراً مطابقاً لذلك . ولما حدث هذا التغير في البناء ظهر اختلاف في الوظائف بين الخلايا التي تغطي خارج الفنجان والخلايا المبطنة لهُ . فالخلايا التي في الخارج صارت تقوم بوظائف التحرك وتلقى المؤثرات الطبيعية والكيماوية التي تصل الى الجسم وتنقلها من خلية الى خلية في حين ان الخلايا التي في الداخل تحررت من هذه الوظائف فاخذت تختصُّ بتناول المواد المغذية وهضمها فتنتقل هذه المواد منها الى الفراغ في الكرة المجوفة وتغذي كل الخلايا التي يتألف الجسم منها . ثم حدث في سير النشوء تغيرات كثيرة في شكل الفراغ الذي تكوَّن بانخفاض الكرة على ما رأينا وجعل هذا الفراغ يزداد تنوعاً وتركباً واخذت بعض مجاميع الخلايا تعيش عيشة القعود فصارت تشابه النباتات في منظرها والى حدٍ محدود في عاداتها ايضاً . فهذه الاجسام المركبة شكلاً والبسيطة بناءً هي الاسفنج واجزاؤُها ليست شديدة التوقف بعضها على بعض كما في الانواع العليا من المتازُوَى وتلف قسم منها مهما كان كبيراً لا يسبب موت باقي الاجزاء لا عاجلاً ولا آجلاً . واجزاؤُها تقوم بوظائفها كلٌّ على حدتهِ ولكن لا شك في انها تنتفع باجتماعها حتى لو لم يكن ذلك الاَّ بانتشار المواد المغذية فى كتلتها انتشاراً بطيئاً . وفي هذه الاحياء شيءٌ من التنوع ولكن خلوها من جهاز عصبي يمنع ربط اعمالها وتنظيمها بعضها بالنسبة الى بعض وخلاياها مستقلة بعضها عن بعض استقلالاً كبيراً

وحياتنا نحن كحياة كل الحيوانات العليا حياة مؤلفة من حياة اجزاء كثيرة وحياة الجسم كلهِ هي مجموع حياة كل خلية من خلاياهُ . ويمكن ان تنقضي حياة بعض هذه الخلايا مع استمرار حياة الخلايا الباقية . وهذا يحدث في كل دقيقة من حياتنا فان الموت مستمر في الخلايا التي تغطي سطح اجسامنا والخلايا التي تتألف منها البشرة والشعر والاظافر . وما يموت منها يزول او يقطع وتحل محلهُ خلايا اخرى من الطبقات الحية التي تحتهُ ولكن موت هذه الخلايا لا يؤَثر في حيوية الجسم كلهِ لان وظيفة هذه الخلايا الوقاية او الزينة وليست في ما سوى ذلك ضرورية لوجودنا . على انهُ اذا اتلفت او ايفت بضع خلايا من الخلايا الضرورية كخلايا الاعصاب المتسلطة على التنفس وقفت الآلة الحية كلها في دقيقة او اثنتين ومات الانسان حسب الظاهر حتى ان الطبيب يحكم بان الحياة قد زالت . ولكن هذا الحكم انما يصحُّ بمعنى خاص فقط . فان الذي حصل هو ان وصول الاكسجين الى الانسجة قد انقطع بسبب وقوف التنفس

وبما ان مظاهر الحياة تقف اذا انقطع الاكسجين فالحيوان او العليل يظهر انهُ مات · على اننا اذا جئنا بعد مدة قصيرة بالاكسجين المطلوب الى الانسجة التي تحتاج اليهِ عادت كل مظاهر الحياة

وحينما يموت الحيوان لا تزول الحياة من كل خلايا جسمهِ حالاً لان خلايا كثيرة منها تبقى حياتها فيها الى ما بعد موت الجسم بزمن طويل اذا كانت الاحوال مناسبة · وفي مقدمة هذه الخلايا خلايا العضلات · وقد اظهر ماك وليم ان خلايا العضلات في الاوعية الدموية تبدي ما يدل على وجود الحياة فيها بعد ذبح الحيوان الذي كانت فيهِ بعدة ايام · وقد احيا بعضهم خلايا عضلات القلب في ذوات الثدي وجعلوها تنبض بانتظام وقوَّة بعد الموت الظاهر بساعات كثيرة · وقد حصل كوليابكو على هذه النتيجة في الانسان بعد ان حُكم بحدوث الموت بثماني عشرة ساعة وفي العجاوات بعد مضي ايام · وقد بيَّن والر انهُ يمكن ان نستخلص من انسجة مختلفة ادلة على وجود الحياة فيها بعد الموت بساعات كثيرة بل بايام · وشاهد شرنجتون كريات الدم البيضاء حية تعمل بعد نقلها من الاوعية الدموية باسابيع اذا وضعت في سائل مغذٍ مناسب · ووجد هستولوجي فرنسوي اسمهُ جولي ان كريات الضفدع البيضاء تُبدي كل مظاهر الحياة بعد مضي سنة اذا وضعت في مكان بارد وكانت الاحوال مناسبة · وقد شاهد كاريل وباروز خلايا عدة انسجة واعضاء تستمر على العمل والنمو مدداً طويلة بعد عزلها ووضعها تحت المراقبة في وسَط مناسب · وتمكَّن كاريل من نقل اعضاء كاملة من حيوان مات الى حيوان آخر من نوعهِ بدلاً من الاعضاء التي فقدها ففتح بذلك باباً للمعالجة الجراحية لا يمكن معرفة ما سيؤَدي اليهِ بعد · ومن الحقائق المقررة انهُ يمكن ابقاء اي قسم من الجسم حياً مدة ساعات بعد فصلهِ عن الاقسام الباقية اذا تخلل الاوعية الدموية سائل اكسجيني من بعض الاملاح بنسبة معينة (رنجر) · وإحياء الاعضاء المنفصلة واطالة حياتها على هذا الوجه طريقة عادية متبعة في معاهد الابحاث الفسيولوجية · وهي مثل كل الشواهد الاخرى التي عدّدت مبنية على ان لخلايا كل عضوٍ حياة خصوصية مستقلة استقلالاً كبيراً بحيث انها تستمر على قيد الحياة اذا كانت الاحوال مناسبة مع ان باقي الجسم الذي كانت فيهِ يكون قد مات

ولكن الخلايا التي تتألف منها بعض الاعضاء ألزم لحفظ حياة المجموع من غيرها بسبب نوع الوظائف التي اختصت بها فمن ذلك خلايا اعصاب المركز التنفسي لانها تدير الحركات اللازمة لتقديم الاكسجين الى الدم والخلايا التي يتألف القلب منها لانهُ يدفع الدم الذي اخذ الاكسجين الى كل خلايا البدن الاخرى ومن دون هذا الدم تموت اكثر الخلايا

في مدة قصيرة . وهذا هو سبب فحصنا التنفس والقلب لنتحقق وجود الحياة لانهُ متى كان احدهما واقفاً او كانا كلاهما واقفين علمنا انهُ لا يمكن حفظ الحياة . وليست هذه كل الاعضاء اللازمة لحفظ الحياة ولكن فقد بعض الاعضاء الاخرى يمكن ان يحتمل مدة اطول مما ذكر لانهُ وان تكن الوظائف التي تقوم بها نافعة بل ضرورية للجسم الاَّ انهُ يمكن الاستغناء عنها مدةً . فحياة الخلايا تتفاوت في لزومها لحفظ حياة باقي الخلايا . على ان الخلايا التي تتألف منها بعض الاعضاء اصبحت غير ضرورية في سير النشوء والارتقاء بل قد يكون بقاؤُها مضرًّا . وقد عدَّد ويدرشيم اكثر من مئة من هذه الاعضاء في جسم الانسان . ولا شك ان الطبيعة باذلة جهدها لتخلصنا منها وسوف يأتي زمن يكون فيهِ اولادنا بلا زائدة دودية وبلا لوزتين . ولكن ريثما يحل ذلك الزمن تكون ازالتها بالطرق الجراحية

ستأتي البقية

الحرب الناشبة

بين الجنود العثمانية وممالك البلقان

نفذ السهم وشبت النار في البلقان بعد ان حاول دهاة الساسة منع شبوبها اعواماً كثيرة ورجالنا يقولون بلسان حكمة بن قيس الكناني

نهيتُ اباعمرو عن الحرب لو يرى   برأي رشيد او يؤُول الى حزمِ
دعاني لنشب الحرب بيني و بينهُ   فقلتُ لهُ لا بل هلمَّ الى السلمِ
وامهلتهُ حتى رماني بجرمها   تغلغل من غلٍ غويٍّ ومن اثمِ

ولسان الزمان وعبر الايام تخاطب الفريقين بقول فيلسوف الشعراء زهير ابن ابي سلمى المزني القائل

وما الحرب الاَّ ما علمتم وذقتمُ   وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً   وتضرَ اذا ضرَّيتموها فتضرمِ
فتعرككُم عرك الرحى بثفالها   وتلقح كشافاً ثم تحملْ فتتئمِ
فتنتج لكم غلمانَ اشأمَ كلهم   كاحمر عادٍ ثم ترضع فتفطمِ

ولكن حب الرئاسة في الملوك وحب الابهة في القواد وحب المال في صانعي الاسلحة ومجهزي الميرة وتغاضي رعاتنا عما يجب عليهم نحو رعيتهم كلُّ ذلك هيأ الوقود لهذه الحرب الطاحنة واضرم النار فيهِ

نكتب هذه السطور ورحى الحرب دائرة بين الجيوش العثمانية وجيوش البلغار واليونان والسرب والجبل الاسود· اربع ممالك صغيرة فتحها العثمانيون بالسيف وملكوها قروناً ثم شقت عصا الطاعة واستقلت وهي تحاول الآن ان تشرك في استقلالها سائر ولايات البلقان

اما السلطنة العثمانية فلا تزال من الممالك الكبرى مساحتها ومساحة البلدان التي تؤدي لها الجزية نحو مليون ونصف من الاميال المربعة وعدد سكانها نحو ٣٧ مليوناً · واذا اغضينا عن البلدان التي تؤدي لها الجزية كمصر وعن طرابلس الغرب ايضاً لانها ضُمّت الى ايطاليا في بدء هذه الحرب فمساحتها اكثر من مليون ميل مربع وعدد سكانها نحو ٢٥ مليوناً من النفوس · واما ممالك البلقان الاربع البلغار واليونان والسرب والجبل الاسود فمساحة بلدانها كلها ٩٥٣٦٠ ميلاً وعدد سكانها ١٠٢٤٥٠٠٠

والعبرة وقت الحرب بكثرة الجنود وحسن تدريبها واتقان اسلحتها وكفاءة ميرتها وسهولة تعبئتها وتحصن بلادها وكثرة الاموال في خزينتها · والعبرة الكبرى باخلاق القواد والجنود من حيث حبهم لوطنهم وتفانيهم في الذود عنهُ واعلاء منارهِ ومع ذلك فقد تأتي الامور على غير ما قدِّر لها · تصيب القائد شظية مدفع فتقتلهُ او تفرُّ قطاة من امام فرسهِ فيجفل بهِ ويرديهِ فيقع الخلل في صفوف جنودهِ · لكن الخصمين معرضان لهذه العوارض على حدٍ سوى فيبقى الاعتماد على ما تقدم من مقومات الاستعداد للحرب

الدولة العثمانية

دخلها — دخل الحكومة العثمانية السنوي نحو ٢٧ مليوناً من الجنيهات الانكليزية وهو لا يزال دون نفقاتها لان العصر الماضي عصر عبد الحميد انضب موارد السلطنة او لم يزدها كما زادت موارد بقية الدول وكما زادت النفقات حتى انحطَّ دخل الحكومة الى ١٦ مليوناً من الجنيهات فالزيادة التي زادها في السنوات الاربع الاخيرة تدل على انهُ سيبلغ مبلغ النفقات بعد زمن قصير · وتبلغ نفقات الحربية من ذلك ثمانية ملايين من الجنيهات الانكليزية ونفقات البحرية نحو مليون وربع من الجنيهات هذا عدا نفقات المعامل الحربية والميرة التي تبلغ نحو ٤٥٠ الف جنيه وعدا نفقات الجندرمة التي تبلغ نحو مليون وسبع مئة الف جنيه ومجموع ذلك نحو احدعشر مليوناً ونصف مليون من الجنيهات الانكليزية وتبلغ ميزانية المعارف العمومية ثمانمئة الف جنيه

بلادها الاوربية · مساحتها ٦٥٣٥٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٦١٣٠٢٠٠ · المسيحيون منهم ٣٥٠٠٠٠٠ والباقون مسلمون · واقوى حصونها في ادرنة والاستانة وسلانيك

وعلى ضفاف البوسفور والدردنيل

عدد جنودها — كان الجيش العثماني يؤْخذ من المسلمين فقط فاشترك فيهِ المسيحيون بعد الدستور وتبتدئ الخدمة العسكرية في سن العشرين وتدوم عشرين سنة ٣ منها في صفوف المشاة و٦ في الاحتياطي او ٤ في صفوف الفرسان والمدفعية و٥ في الاحتياطي . ثم ينتقل الجندي الى الرديف ومدتهُ ٩ سنوات اخرى واخيراً الى المستحفظ ومدتهُ سنتان . ويطلب الاحتياطي للتمرُّن كل سنة ستة اسابيع والرديف مدة شهر سنةً بعد اخرى بالتعاقب

وعدد الجيش العامل من النظام ٢٦٠٠٠٠ ومن الاحتياطي ١٢٠٠٠٠ ومن الرديف والمستحفظ ٦٤٠٠٠٠ والجملة مليون نفس . ويرجح الثقاة في فنون الحرب انهُ يسهل على الحكومة العثمانية ان ترسل الى ولايات البلقان سبع مئة الف من الجنود والضباط

البلغار

جغرفيتها . مملكة صغيرة الى الشمال الشرقي من ولايات الدولة العلية في البلقان كما ترى في الخريطة التابعة لهذه المقالة مساحتها مع الروملي الشرقية التي اضيفت اليها ٤٨٠٨٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٤٣٢٩٠٠٠ نفساً اكثرهم من البلغار على مذهب الروم الارثوذكس فان عدد الارثوذكس ٣٣٤٥٥١٩ وفيها ٤٨٨٠١٠ من الاتراك و٣٧٦٥٦ من اليهود والباقون من امم ومذاهب اخرى

ملكها . فردينند بن البرنس اغسطس امير سكس كوبرج وغوتا ولد سنة ١٨٦١ وانتخب اميراً للبلغار سنة ١٨٨٧ واعطي لقب ملك في ١٠ يوليو سنة ١٩١١ واسم عاصمتهِ صوفيا وهي غربي البلاد وسكانها نحو تسعين الف نفس

دخلها . دخل الحكومة السنوي ٧١٣٧٨١٢ جنيهاً انكليزية ونفقاتها تعادل دخلها وهي تنفق على حربيتها نحو مليون وستمئة الف جنيه لا غير لكنها تنفق على التعليم نحو مليون جنيه

جنديتها . مدة الخدمة فيها ٢٠ سنة اثنتان منها في صفوف المشاة و١٨ في الاحتياطي او ٣ في الفرسان والمدفعية و١٦ في احتياطيهما ثم ينتقل الجندي الى المستحفظ او جيش الاقاليم فيقيم فيهِ الى ان تتم خدمتهُ ٢٦ سنة . وعدد الجيش العامل وقت السلم ٥٤٠٠٠ من الجنود و٣٨٠٠ من الضباط ووقت الحرب ٢٣٥٠٠٠ او اكثر . وبنادقهم من المنلتشر التي قطرها ٠٫٣١٥ من العقدة ومدافع الميدان التي عندهم من مدافع شنيدر التي قطرها ٧٫٥ سنتمتر ومدافع الجبال من مدافع كروب التي قطرها ٧٫٥ من السنتمتر

السرب

جغرافيها · السرب اصغر من البلغار وهي الى الشمال الغربي من ولايات البلقان مساحتها ١٨٦٥٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين · عاصمتها بلغراد عدد سكانها نحو ٩١ الف نفس والحكومة ارثوذكسية وكل الشعب على هذا المذهب ما عدا ثلاثين الفاً يدينون بمذاهب اخرى

ملكها بطرس الاول ابن الاسكندر قره جيورجيفش ولد سنة ١٨٤٤ وكان مقترناً بابنة ملك الجبل الاسود

دخلها ونفقاتها · دخل الحكومة السنوي اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات ونفقاتها نحو اربعة ملايين وسبع مئة الف جنيه ونفقات الحربية من ذلك ١٢٠٠٠٠٠ جنيه ونفقات التعليم العمومي نحو ٣٨٤ الف جنيه وعدد جنودها وقت السلم ٣٥٦٠٠ ووقت الحرب ٢٢٥٠٠٠

اليونان

جغرافيتها — مملكة صغيرة استقلت عن املاك الدولة العلية سنة ١٨٢٨ مساحتها نحو ٢٥٠٠٠ ميل مربع وكان عدد سكانها ٢٦٦٦٠٠٠ سنة ١٩٠٩ · عاصمتها اثينا سكانها ١٦٧ ٤٧٩

دخلها — يبلغ دخل حكومتها السنوي نحو ٥٧٤٤٠٠٠ جنيه ونفقاتها اقل من ذلك قليلاً وميزانية المعارف نحو مئتي الف جنيه وميزانية الحربية والبحرية نحو مليون ومئتي الف جنيه وعدد جيشها وقت السلم ٢٣٦٠٠ ويقول مكاتب التيمس الحربي ان اليونان تستطيع ان تجند ١٢٠ الف مقاتل ولكنها لا تستطيع ان ترسل الى ساحة الوغى اكثر من ثمانين الفاً

ملكها جورج الاول ابن ملك الدنمارك ولد سنة ١٨٤٥ وانتخب ملكاً لليونان سنة ١٨٦٣

الجبل الاسود

مملكة من اصغر الممالك مساحتها ٣٦٣٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها نحو ٢٥٠ الفاً وعاصمتها ستنجه سكانها نحو ٤٥٠٠ نفس وفيها مدينة بدغورتزا سكانها ١٢ الفاً · والتعليم اجباري فيها فكل الذكور من سكانها يجب ان يعرفوا القراءة والكتابة ودخل الحكومة السنوي نحو ١٢٠ الف جنيه لا غير وكل رجالها جنود من سن ١٨ الى سن ٦٢ ويقدر عدد جنودها وقت الحرب بخمسين الف مقاتل

باب الصناعة

نصيحة للصناع والتجار الوطنيين

ذكرنا في مقتطف اغسطس تحت هذا الموضوع ان التجار يوصون المعامل الاوربية لتصنع لهم ارخص ما يمكن صنعهُ لكي يزيد ربحهم ولو باعوا زبائنهم بضائع لا تصلح لشيء

وقد انتبهنا الآن لدليل قاطع على صحة ذلك وهو سعر المنسوجات الانكليزية التي تجلب الى هذا القطر وسائر الممالك العثمانية فانها ارخص ما يصدر من البلاد الانكليزية حتى كأ ننا من زنوج افريقية كما ترى في هذا الجدول . وقد ذكر فيهِ مقدار ما صدر من البلاد الانكليزية من المنسوجات القطنية محسوباً باليرد ومتوسط ثمن اليرد منها

الصادر الى بلاد الهند	٢٥١٣ مليون يرد ومتوسط ثمنها	٢ ⅓ بنس
« « « الصين	٠٧٩٩ « « « « «	٣ «
« « تركيا	٣٧٦ « « « «	٢ ½ «
« « مصر	٢٧٣ « « « «	٢ ½ «
« « جاوى	٢٢٦ « « « «	٢ ½ «
« « جمهورية ارجنتين	١٦٠ « « « «	٣ ¼ «
« « جزائر الهند الغربية	١٥٤ « « « «	٣ «
« « استراليا	١٣٦ « « « «	٣ ¾ «
« « برازيل	١٣١ « « « «	٢ ½ «
« « اليابان	١٢٨ « « « «	٣ «
« « شيلي	٩٧ « « « «	٣ «
« « غربي افريقية	٧٤ « « « «	٣ ½ «
« « بلجكا	٦٧ « « « «	٤ ½ «
« « المانيا	٦٦ « « « «	٤ «
« « الولايات المتحدة	٦٥ « « « «	٧ ½ «
« « جنوبي افريقية	٥٠ « « « «	٣ ½ «

الصادر الى هولندا	٥٠	مليون يرد ومتوسط ثمنها ٣ ½ بنس
« « كندا	٤٧	« « « « ٤ ½ «

فلا مثيل لتجارنا في استرخاص المنسوجات التي يجلبونها من بلاد الانكليز الاَّ تجار الهند وجاوى والارجنتين وبراز يل بل اي البلاد التي يكثر فيها عدد الهمج الذين لا يميزون بين الصناعة الجيدة والرديئة . واهالي غرب افريقية وجنوبها افضل منا من هذا القبيل . ولعلَّ البضائع التي يجلبها تجارنا من المانيا اسخف وارخص ما يصنعهُ الالمان وقس على ذلك البضائع التي يجلبونها من فرنسا وايطاليا

وعذر التجار انهم يجلبون البضائع التي تروج في السوق فاذا طلب الناس منهم البضاعة الجيدة المتينة الغالية الثمن جلبوها لهم . وهو عذر مقبول ولكنهُ لا ينفي انهم هم الذين تباروا في طلب البضائع السخيفة الرخيصة وهم انفسهم قادرون ان يتباروا في طلب البضائع الجيدة ولو كانت غالية الثمن فيألف الناس مشترى البضائع الغالية كما الفوا مشترى البضائع الرخيصة . وحبذا لو وضعوا لهم قواعد تمنعهم من طلب البضائع السخيفة وانشأوا لهم نقابة تتولى تنفيذ هذه القواعد

آيات الصناعة

الاروبلان

ان ناموس التغلُّب ناموس عام يشمل كل شيء حتى كلمات اللغة . فقد حاولنا تسمية هذه الآلة بالطيارة وراكبها بالطيَّار وعملهُ بالطيران . وكلمة الطيارة اصلح الكلمات العربية لانها صيغة للمبالغة من طار وقد الفها كل ابناء العربية منذ نعومة اظفارهم وخصوها بآلة تطير في الهواء على مبدإ الاروبلان تماماً اي بمقاومة الهواء . ومع ذلك نرى الآن ان كلمتنا العربية ستبقى خاصة بآلتنا القديمة التي يصنعها اولادنا من الورق والعيدان وان المركبة الهوائية الجديدة المصنوعة على مبدإ الطيارة ستأخذ الاسم الافرنجي الذي وُضع لها وهو الاروبلان اي السطح الهوائي فيتغلب هذا الاسم على الاسم العربي لان نصراءهُ اقوى منا وقد تمضي سنوات كثيرة قبلما يتيسر لنا صنع اروبلان واحد اما هم فصارت اروبلاناتهم تصنع بالمئات وانشئت معاملها في كل ممالكهم . فاذا كتبنا في العلم او في الصناعة او في السياسة اضطررنا الى مجاراتهم . واما ادباؤنا وشعراؤنا فلهم ان لا يستعملوا الاَّ الالفاظ العربية سواء دلَّت على المعنى المراد تماماً او لم تدل

هذا من حيث التسمية اما من حيث الاختراع والاستعمال فالاروبلان اختُرع في

القرن التاسع عشر واتقن واستعمل في القرن العشرين وهاك خلاصة تاريخهِ كما وضعها الدكتور البرت زهم رئيس لجنة نادي الطيران في اميركا قال

ان الامور الجوهرية في هذا الاختراع اكثرها انكليزي ففي سنة ١٨٠٩ و ١٨١٠ نشر السر جورج كيلي وصف الطيارات التي صنعها فكانت تطير من اعلى التلال الى اسفلها ومن جانب الى آخر طيراناً منتظماً وحسب قوة انحدارها بالجاذبية الارضية ومقدار القوة اللازمة لمقاومتها وجعلها تطير

وسنة ١٨٤٢ نال صموئيل هنسن امتيازاً بطيارة ذات سطح واحد فيها كل الصفات الميكانيكية اللازمة للطيران اي المحرك واللولب الدافع والبكر والاجنحة المحدبة والدفة الافقية والعمودية والصدر الحافظ للموازنة . وبعد اربع سنوات صنع رصيفة سترينفلو طيارة ذات سطح واحد تدفعها آلة بخارية فسارت على سلك معدني اولاً ثم طارت في الهواء مسافة اربعين يرداً . وبنى سنة ١٨٦٨ طيارة ذات ثلاثة سطوح تحركها آلة بخارية ذات رفاصين وقوَّى اجزاءها بالاسلاك المعدنية كما تقوَّى اجزاء الاروبلان الآن

وصنع ونهام سنة ١٨٦٦ طيارة اجنحتها مستوية وتلاهُ فيلبس سنة ١٨٨٤ بطيارة اجنحتها محدبة وصنع ادر الفرنسوي الدفات العمودية والافقية وكرس النمسوي الطوَّافات التي يجري بها الاروبلان على الماء

وقبلما انقضى القرن التاسع عشر اشير باستعمال آلة الغازولين للاروبلان . وصنع بلازر للاستاذ لنغلي آلة غازولين قوتها ١٢ حصاناً وثقلها مئة ليبرة ثم صنع مانلي آلة غازولين قوتها ٥٠ حصاناً وثقلها ٢٠٠ ليبرة فقط وهذه اول آلة صالحة للطيران وقد صنعت رسومها سنة ١٩٠٠ وتم عملها سنة ١٩٠٧

هذا من حيث الاروبلان نفسهُ اما من حيث استعمالهُ فان للينثل طار في المانيا بطيارة تقع في الهواء وتسير على سطح مائل كأنها تزلق زلقاً وتبعهُ غيرهُ في بلدان اخرى ولكن هذا النوع من الطيران لا يفي بالغرض والاروبلان الحقيقي لا يطير بسقوطهِ من مكان مرتفع كما فعل للينثل بل بدفع الهواء برفاص تديرهُ آلة بخارية وهذا فعلهُ مكسم ولنغلي اولاً وقد طارت طيارة لنغلي ذات السطح الواحد سنة ١٩٠٣ بضعة اميال وكان المحرك لها آلة غازولين وهي اول آلة غازولين نجح استعمالها في الاروبلان . وتبعهُ ريط في ١٧ دسمبر من تلك السنة فطار باروبلان تحركهُ آلة غازولين ٥٩ ثانية ونزل الى الارض سالماً وحينئذٍ ثبت ان الطيران ممكن فعلاً ومن ثم اخذت هذه الطيارات تزيد اتقاناً

وفي اوائل العام الماضي طار المستر كرتس بالهدرواروبلان اي الطيارة المائية فصار الاروبلان نوعين نوعاً يجري على الارض ويطير عنها ونوعاً يجري على الماء ويطير عنهُ

ولا يزال الاروبلان في طفوليتهِ ومع ذلك فقد بلغت سرعتهُ ١٠٤ اميال في الساعة وركب فيهِ مرةً ١٣ نفساً وطار فوق الجبال والبحار والاودية باسرع من النسور وسكك الحديد

تنكيل الحديد او تفضيضهُ بالفرك

نريد بالتنكيل تمويه الحديد بالنكل كما يراد بالتفضيض تمويههُ بالفضة . اما التنكيل فيتمُّ بان يلبس الحديد اولاً طبقة رقيقة من النحاس وذلك بفركهِ بمحلول فيهِ ٢٠ جزءا من كبريتات النحاس (الشب الازرق) و ٥ اجزاء من الحامض الكبريتيك (زيت الزاج) و ١٠٠ جزء من الماء . ومتى تموَّه الحديد بالنحاس يفرك بخرقة مغطوطة في محلول ٣ اجزاء من القصدير و ٦ من النكل وواحد من الحديد في ١٠٠ جزء من الحامض الهيدروكلوريك (روح الملح) و ٣ من الحامض الكبريتيك . وبعد ذلك يفرك بخرقة مغطوطة بمسحوق الزنك الناعم جدًّا فيكتسي قشرة من النكل ويمكن ان يزاد سمك هذه القشرة بتكرير العملين الاخيرين

اما التفضيض بالفرك فيتم باذابة كلوريد الفضة في محلول هيبوسلفيت الصودا احد عشر جزءا من الهيبوسلفيت في ١٠٠ جزء من الماء ويضاف الى هذا المحلول ١٨٠٠ جزء من روح الامونيا ويخلط بها ٨٠٠٠ جزء من الطباشير الناعم النقي . يدهن ما يراد تفضيضهُ بهذا المزيج ويترك عليهِ حتى يجف فترسب عليهِ قشرة من الفضة النقية

جمع برادة الذهب

يهتم الصاغة بتصويل ما في دكاكينهم من وقت الى آخر لجمع ما يقع فيها من برادة الذهب فيجدون مشقة في جمعها . وقد قال بعضهم انهُ يمكن جمع برادة الذهب بسهولة اذا وضع ماء في اناء زجاجي كبير وصبَّ فوقهُ بترول حتى يكون طبقة سمكها نحو عقدة فاذا طرحت برادة الذهب في هذا الاناء اجتمعت في الحد الفاصل بين البترول والماء

صقل الالومنيوم

يجلى الالومنيوم بمعجون من الشحم والسنباذج ثم يصقل بالروج . ويمكن تلميعهُ ايضاً بالبنزول

تنظيف النحاس الاصفر

المسبوكات الصغيرة من النحاس الاصفر تنظف باحمائها قليلاً وتغطيسها في محلول النشادر

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصلُ الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

سابقية العرب في استعمال الجرائد

حضرة الافاضل اصحاب المقتطف

ذكر حضرة الدكتور شبلي شميل ان اوربا ليست اول مخترعة للجرائد في رسالتهِ (ام الجرائد) فتذكرت حكاية كنت قرأتها في (كشف اسرار المحتالين) للعلامة الجوبري الدمشقي من علماء القرن السابع الهجري في الفصل التاسع منهُ تنبئ بسابقية العرب على اوربا في اختراع الجرائد مضمونها ان رجلاً اعجمياً دخل دمشق في زمن السلطان نور الدين محمود زنكي المتوفى سنة ٥٦٩ هجرية ومعهُ الف دينار بردها وخلطها بالفحم وباعها لاحد العطارين باسم طبرمك خراساني بخمسة دراهم ثم اتصل بالاعيان واظهر انهُ عالم بصناعة الكيمياء وحالف انهُ لا يصنعها الاَّ لملك يحلف لهُ انهُ ينفقها على الغزو وغيرهِ من المصالح التي تعود على المسلمين بالخير وكانت الحرب ناشبة في ذلك الوقت بين الافرنج والسلطان نور الدين فلما بلغهُ خبرهُ ارسل احضرهُ وامرهُ بصنع الذهب على الشرط المذكور فامر باحضار اصناف مختلفة ومنها الطبرمك المذكور آنفاً فحضرت وتولى صنعها احد خدم السلطان حسبما وصف لهُ الاعجمي فاحترقت الحوائج ودار الذهب فصب سبيكة بيعت بالف دينار فلما رأى السلطان ذلك انبهر وامر بصنعها ثانية فلم يجد (طبرمكاً) بدمشق فاخبر السلطان انهُ يوجد كثير منهُ بغار في جبال خراسان فليأمر من يحضرهُ لهُ لانهُ لا يتم العمل الاَّ بهِ . فوقع اختيار السلطان على ارسالهِ هو فارسلهُ بعد ما جهزهُ بمال كثير وكتاب الى الامراء الذين يمر بهم بالمحافظة عليهِ فاخذ ذلك وذهب من حيث اتى

قال — وكان في دمشق صاحب جريدة يكتب فيها اسماء المغفلين فكتب في راسها

« السلطان نور الدين محمود رأس المغفلين » فوصل الخبر الى السلطان فارسل اليهِ يحضرهُ فلما مثل بين يديهِ قال أأنت فلان الذي يكتب اسماء المغفلين قال نعم وكتبت اسمك واراهُ الجريدة · قال واي شيءٍ ظهر لك من تغفلي حتى تكتب اسمي قال ومن يكن اغفل منك وقد جاءك العجمي واحتال عليك بالف دينار اخذها من مال المسلمين زاعماً انهُ يأتيك بالطبرمك فان رجع الاعجمي وجاء بهِ محوت اسمك من الجريدة وكتبت اسمهُ لانهُ لا يكون في الارض اغفل منهُ فضحك السلطان وقال اعطوهُ شيئاً ينفقهُ

فصار صاحب هذه الجريدة كلما افلس اخذ جريدتهُ وتوجه الى السلطان وقال لهُ ان الاعجمي لم يأتِ وهذا اسم السلطان مكتوب فيضحك ويأمر لهُ بما ينفقهُ

فاذا نظرنا الى هذه الحكاية نجد اولاً انهُ كان لاسلافنا حرية في القول وقوة جأش في اظهار الحقائق مع ما كان عليهِ ملوكهم من الاستبداد

وثانياً ان هذه الحكاية وقعت في القرن السادس للهجرة وقد ظهرت اول جريدة اوربية في القرن السادس عشر للميلاد بمدينة البندقية كما اشار الى ذلك حضرة الدكتور شميل فعلى ذلك يكون العرب قد سبقوا اهالي اوربا الى اختراع الجرائد باربعة قرون او اكثر فما قولكم في ذلك

حامد السيد الطنطاوي

[المقتطف] ان ما نقلتموهُ انما يثبت وجود كلمة جريدة بالعربية في القرن السادس الهجري واستعمالها بمعنى الدفتر مثل جريدة الخراج. ولكن العرب لم يستعملوها بمعنى صحف الاخبار ولم تستعمل بهذا المعنى الا حينما انشئت صحف الاخبار عندنا في اواسط القرن الماضي وأُطلق عليها اسم الجريدة · ومع ذلك فاننا نرى انهُ كان يصحُّ ان يسمى مثل تاريخ الجبرتي جريدة بمعناها المستعمل الآن لو استوفى الشرط الاهم من شروط صحف الاخبار وهو ان تكتب منهُ نسخ كثيرة وتنشر كل يوم او كل اسبوع · فاذا امكننا ان نثبت ان العرب كانوا يكتبون الاخبار اليومية في صحيفة وينشرون منها نسخاً كثيرة في وقت واحد ثبت لنا انها كانت جرائد بالمعنى الذي نفهمهُ الآن

غنى العربية عن غيرها

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعت على ما نشرتموهُ من محاضرة صاحب السعادة احمد بك زكي السكرتير الاول

(او الناموس الاول) لمجلس النظار فوجدتها مثل سائر محاضراتهِ حافلة بالفوائد التاريخية والادبية وزائدة عليها بالفوائد اللغوية لكنني وقفت حيران لدى مطالعتي مقدمتها وهو إنحاء الخطيب الكريم باللائمة على الذين يستعملون الفاظاً افرنجية في كلامهم فقد نسب ذلك الى « خور النفوس وضعف الطبيعة وانحطاط الاخلاق » ... و « التنطُّع والحذلقة »

هذا واني اتذكر انكم كتبتم مرة في باب التعريب ان علماءنا الاقدمين كابن سينا وابن البيطار لم يأنفوا من استعمال الاسماء اليونانية حتى لما لهُ اسماء عربية فهل كان شأنهم التنطع والحذلقة كعلمائنا وانصاف علمائنا . واني ارى الفرنسويين يستعملون كثيراً من الالفاظ الانكليزية في كلامهم وكتابتهم والانكليز يستعملون كثيراً من الالفاظ والجمل الفرنسوية والفريقيين استعملا الوفاً من الالفاظ اللاتينية واليونانية . والعرب استعملوا مئات من الالفاظ الفارسية والاتراك الوفاً من الالفاظ العربية والفارسية فهل هؤلاء كلهم خائرو النفوس ضعفاء الطبيعة منحطو الاخلاق يقصدون التنطع والحذلقة او هي سنة الطبيعة وفضيلة الكسب والاستفادة من تعب الغير

ما ضرَّنا وقد اخذنا المركبة الاوربية وفضلناها على مركبتنا القديمة ان نأخذ ايضاً اسمها الاوربي معها . ما ضرنا وقد اقتبسنا من الاوربيين السترة والبنطلون بدل الجبة والسراويل ان نقتبس معهما اسميهما ايضاً . ولا ارى ان ذلك يضعف اللغة او يحقّر ابناءها بل ارى انهُ يقوي اللغة لانهُ يزيدها مادةً اي الفاظاً جديدة للتعبير عن المعاني الجديدة ويرفع شأننا لانهُ يدل على ان لغتنا خاضعة لنا ولسنا عبيداً لها . هذا هو رأيي وقد اكون مخطئاً وحبذا لو تكرَّم سعادة الخطيب فبيَّن لنا الادلة التي تدعم ما صرَّح بهِ وهو ان استعمال الالفاظ الافرنجية في الكلام من دلائل « خور النفوس وضعف الطبيعة وانحطاط الاخلاق والتنطُّع والحذلقة »

اما موضوع المحاضرة بالذات وهو الاستدلال على حضارة العرب ممَّا بقي في اللغات الاوربية من الكلمات العربية فمما يوجب لسعادة الخطيب جزيل الشكر كما ان اقتباس الاوربيين لتلك الكلمات لا يدل في رأيي على خور نفوسهم وضعف طبيعتهم وانحطاط اخلاقهم بل يدل على سعة صدورهم وعلى انهم يطلبون الفائدة اينما كانت ويستفيدون منها . ويظهر لي ان سعادتهُ من هذا الرأي ايضاً لانهُ لا يزال يستعمل كلمة سكرتير لقباً لهُ مع ان نادينا اللغوي قال ان عندنا كلمة ناموس وهي تقوم مقامها مستفيد

باب الزراعة

اليوسف افندي او المندرين

أُتي بشجرهِ الى القطر المصري من مالطة · واشجارهُ صغيرة وورقهُ اصغر من ورق غيرهِ من انواع الليمون وزهرهُ صغير ايضاً ابيض ناصع البياض وثمرهُ كروي وقشرتهُ غير عالقة بلبهِ فيسهل تقشيرهُ · واذا افرط نضجهُ صارت واسعة على لبهِ · ويوجد منهُ صنفان مختلفان الواحد مالس القشر رقيقهُ كثير العصارة والثاني ثخين القشر قليل العصارة وقشرهُ اقل التصاقاً بلبهِ من الاول · وهناك صنف ثالث اسمهُ طنجرين نسبة الى طنجة بالمغرب الاقصى وهو رقيق القشر جدًّا حلو العصارة ولكنهُ لا يزرع في القطر المصري

وشجرة المندرين انحف من غيرها من اشجار فصيلة الليمون ويلزم لها عناية اكثر مما يلزم لغيرها وهي اصغر من شجرة البرتقال والليمون الحامض فيلزم لها مساحة من الارض اقل من المساحة اللازمة لهما · والغالب ان يكون الحصول عليهِ بتطعيم شجر النارنج الذي عمرهُ سنتان او ثلاث · وبعد سنة يقلع ويغرس في الجنينة والبعد بين كل شجرة واختها ثلاثة امتار ونصف متر الى اربعة امتار

ولا يحتاج المندرين الى التقليم ولكن لا بد من قطع اليابس منهُ كل سنة · واذا كثر حملهُ في سنة من السنين فالاحسن ان ينزع البستاني بعض اثمارهِ المتراكمة

وينضج المندرين قبل البرتقال فيجود في يناير وهو من الاثمار النحيفة فيجب ان يعتنى بهِ وقت قطفهِ · ولا يمكن حفظهُ وقتاً طويلاً واذا بقي على الشجرة زمناً طويلاً بعد نضجهِ تخلخل اي تقلص لبهُ داخل قشرهِ من تبخُّر مائيتهِ فاتسع قشرهُ عليهِ · اما خدمتهُ وسائر ما يلزم لزراعتهِ فمثل ما قيل عن البرتقال

النارنج

النارنج موجود في كل جنائن القطر المصري ويمتاز بشكل ورقهِ وشدَّة اخضرارهِ وطيب رائحتهِ · ازهارهُ ناصعة البياض طيبة الرائحة جدًّا وثمرهُ مستدير قاتم اللون خشن القشر طيب الرائحة ايضاً ولبهُ مرّ الطعم

وهو ينبت من البزر و يربَّى لكي يطعَّم برتقالاً او مندرينا لانهُ شديد النمو طويل الاقامة تغور جذورهُ في الارض الى عمق كثير

وفي ورقهِ وزهرهِ وثمرهِ زيوت طيارة تستخرج بالتقطير فيستخرج من الزهر روح النارنج المستعمل في الطب ومن الاوراق الصغيرة والاغصان الطرية والاثمار الصغيرة زيت آخر يستعمل لتعطير الصابون ومن قشر الثمر الناضج زيت النارنج . ويسمى الماء الذي يستقطر مع زيت النارنج بماء الزهر

ويصنع من القشر مربى النارنج او يجفف ويستعمل في عمل المسكرات وقد يصنع المربى من ثمرهِ الصغير

الليمون الحامض او المالح

زراعة هذا الليمون واسعة في جنائن القطر ومع ذلك يرد الى القطر مقدار كبير من ايطاليا والبلدان المجاورة للبحر المتوسط . والمشهور منهُ صنفان الليمون البلدي وليمون اضاليا والاول ليمون جزائر الهند الغربية والثاني ليمون ايطاليا . وقد زرع الاول في القطر المصري منذ عهد طويل فتبلَّد فيهِ وزراعة الثاني غير واسعة وهي احدث من زراعة الاول

وشجرة الليمون البلدي شائكة كثيرة الفروع صغيرة الاوراق وازهارهُ صغيرة وثمرهُ اخضر او اصفر صغير مستدير رقيق القشر مالسهُ كثير العصار شديد الحموضة في لبهِ شيء من المرارة . وشجرة الاضاليا قليلة الفروع والشوك كبيرة الورق والزهر وثمرها معتدل الحجم ولكنهُ اكبر جدًّا من ثمر البلدي اصفر اللون قشرهُ سميك خشن في الغالب ولبهُ اقل عصارة وحموضة من لب البلدي

ويبقى الثمر على الشجر البلدي السنة كلها واما الاضاليا فيحمل مرةً واحدة . وتكون اثمار الاول على اكثرها في اواخر الصيف واوائل الخريف مدة الفضيان واما اثمار الثاني ففي اواخر الشتاء واوائل الربيع

وهذان الصنفان يختلفان في طريقة زرعهما فالبلدي يزرع من البزر لا من العقل والاضاليا يزرع من البزر ومن العقل وكل منهما يمكن الحصول عليهِ بالتدريخ والتطعيم

ولا يصدر شيء من الليمون الحامض بل يستعمل كلهُ في البلاد . ويستخرج الزيت من قشرهِ ولكن لا يستخرج الحامض الليمونيك من عصارتهِ . وكثيراً ما يخلل الليمون البلدي ويصنع المربى من صغار الاضاليا

الليمون الحلو

يوجد من هذا الليمون صنفان ممتازان البلدي والاضاليا او الكمثرى والاول هو الليمون الحلو المصري والثاني الليمون الحلو الهندي والاول يشبه في حجمهِ وشكلهِ البرتقال المتوسط الحجم وقشرتهُ خضراء مصفرة صقيلة جدًّا تكاد تكون شفافة ولبهُ ابيض حلو كثير العصارة ولكنهُ خالٍ من الرائحة والحموضة وينضج باكرًا في نوفمبر . والثاني مستطيل بيضي الشكل لهُ حلمتان على طرفيهِ لون قشرهِ اصفر باهت ولبهُ ضارب الى الصفرة وهو حلو كثير العصار لا حموضة فيهِ ولا نكهة

والليمون الصيني او الهندي كبير الحجم ولكن زراعتهُ غير شائعة في القطر المصري وهو صنفان الاول اكبر من الثاني ولبهُ وردي اللون والثاني لبهُ ابيض وثمر الصنفين كروي وقشرهُ سميك صقيل مر واللب حلو فيهِ حموضة كثيرة او قليلة واذا كان حلوًا فهو طيب الطعم مبرد

اما الترنج (الكباد) فتزرع منهُ اصناف اهمها الترنج البلدي وثمرهُ كبير مستطيل لهُ حلمة في رأسهِ وقشرتهُ سميكة جدًّا لينة صقيلة او خشنة ذات ثآليل وطعمها عطري . ولبهُ قليل مصفر شديد الحموضة قليل المائية ويصنع من قشرهِ مربى فاخر

وقد انتشرت الحشرات القشرية حديثًا فاتلفت افدنة كثيرة من جنائن البرتقال والليمون والمندرين

الجراثيم الارضية ووظائفها

عمليتا التعفن والاختمار — ان اهم التحليلات التي تحصل في المركبات التي في الارض تحصل بواسطة عمليتي التعفن والاختمار فالمواد العضوية المعقدة تتحول في الارض الى حالتين بحسب كثرة الاكسجين وقلتهِ فعند ما يكون كثيرًا تتحول المركبات الازوتية الى اكاسيد عديمة الرائحة مثل ثاني اكسيد الكربون وثالث اكسيد الكبريت وخامس اكسيد الازوت وماء وغير ذلك وهذا التغير ناتج عن التعفن اما الاختمار فانهُ يحصل في المواد العضوية المتحللة بعيدًا عن الاكسجين فتكون اجسامًا معقدة التركيب ذات رائحة كريهة آتية من بروتين الكتلة العضوية ومركبات بسيطة هيدروجينية مثل النوشادر والهيدروجين المكبرت وغاز المستنقعات (الهيدروجين المكربن) وغير ذلك . وهاتان العمليتان لا تحصلان في وقت واحد

بل عملية الاختمار تحصل اولاً داخل كتل المواد العضوية وتأخذ اكسجينها منها بواسطة جراثيم التحليل وتظل كذلك حتى يتيسر لاكسجين الهواء اختراق الكتلة وذلك بعد انحلالها فيبطل عمل الاختمار و يبتدىء التعفن فيغير الاجسام ذات الرائحة الكريهة الى اخرى عديمة الرائحة وهو يحصل على سطح الكتلة حيث يكثر الاكسجين — وعملية التعفن تحصل بواسطة جراثيم هوائية (aerolic) لا تؤدي عملها الاَّ مع وجود اكسجين الهواء وتستمد قوتها من احتراق الكربوهيدرات على حالة دبال · وكما ان هذه البكتريا الهوائية محتاجة الى الكربوهيدرات فهي كذلك تتطلب مركبات كربونية محتوية على ازوت مثل البروتين فتحولها الى بيتون ثم الى نوشادر واحيانًا الى ازوت وكذلك المركبات الاميدوزية تتحول الى نوشادر كما ترى في تحول اليوريا الى كربونات النوشادر وذلك بواسطة عدة انواع من الجراثيم و يكثر عملها عند ما يكون الهواء حارًّا فيتصاعد الحامض الكربونيك والنوشادر المسبب للرائحة التي تشم في الاسطبلات · وهذه التغيرات الى النوشادر ضرورية جدًّا لانها اول خطوة في سبيل عملية التأزت التي مر الكلام على فوائدها

اما عملية الاختمار فتحصل بعدد كثير من الجراثيم بعضهُ لا يعيش مع وجود الاكسجين وبعضهُ يعيش في وجودهِ ولكنهُ لا يؤدي وظيفتهُ الاَّ عند ما ينقطع — وكل عمليات التأكسد التي تحصل في الارض مثل التغيرات التي تحدثها الجراثيم في المركبات الارضية يكثر حصولها متى وجدت درجة الحرارة المناسبة مع الرطوبة الكافية والغذاء الموافق كاملاح الفسفات والبوتسا ولكن لو زادت الاملاح عن القدر اللازم فانها توقف عملها خصوصًا ملح الطعام وحموضة الارض فانهما يقللان ذلك العمل

تثبيت الازوت — قبل ظهور علم الكيمياء الزراعية وفهم المزارعين حقيقتهُ كانوا يعتقدون ان النبات يتغذى من ازوت الدبال الموجود في الارض كما تقول نظرية دي سوسر « تأخذ النباتات الازوت من المواد العضوية الذائبة عند امتصاصها » — ولكن هذه الفكرة لم تلبث الاَّ القليل حتى صرفت الابحاث عنها الى ما قالهُ ليبج وهو امكان امتصاص المواد المعدنية الضرورية لتركيب هيكل النبات من الارض والمركبات الكربونية من الجو و بذلك اعتبر الازوت والمواد المحترقة في النبات آتية من الهواء الجوي ورأى ان في النباتات قوة اخذ النوشادر من الهواء الجوي و بذلك يصير الزارع في غنى عن اضافة الاسمدة المحتوية على المركبات النوشادرية

ولكن بوسنجيولت لم يرد ان يسلم بهذا القول الاَّ بعد ان يتأكد بنفسهِ صحتهُ او خطأهُ فاخذ

يحلل ويزن المحاصيل التي يزرعها في مزرعتهِ باتباعهِ دورة سداسية فوجد ان من الثلث الى النصف من الازوت المأخوذ بالنبات يزيد عما اضافهُ اليهِ في السماد ولاحظ ان نباتات الفصيلة النجيلية لا يزداد ما تناولتهُ من ازوت الارض عمَّا بها بخلاف نباتات الفصيلة القرنية — وقد عمل عدة تجارب في معملهِ للبحث عن معرفة مورد الازوت فصار يزن انواعاً مختلفة من البزور مع معرفة نسبة الازوت الذي فيها ثم يزرعها في ارض خالية من الازوت وغنية بالمواد المعدنية اللازمة لنمو النبات واعتنى بتنقية الهواء المحيط بالنبات من غاز النوشادر وكذلك بخلو ماء الري منهُ ثم بعد نضج النباتات حللها وحلل الارض لمعرفة مقدار الازوت فيهما واضاف لبعض النباتات اسمدة ازوتية فكانت النتيجة في جميعها عدم ازدياد مقدار الازوت في النبات والارض عن المقدار المضاف في السماد

وهذه التجارب مطابقة تماماً لما عمل في روتهمستد فالنتيجة كانت في الجميع ان نسبة ازدياد حجم النبات هي نسبة مقدار الازوت المضاف ومن هنا تبين للباحثين ان ليس للنبات قوة تثبيت ازوت الهواء فوجهوا مجهوداتهم نحو مخبآت الطبيعة علهم يهتدون الى ما اعيتهم معرفتهُ فتوصلوا بعد ذلك الى الحقيقة المنشودة وهي الكائنات الحية التي في الارض فاخذوا يعملون مع الطبيعة خطوة خطوة حتى تأكدوا ان البكتيريا هي عامل ازدياد كمية الازوت في الارض والنبات وقد اكتشفوا في الارض انواعاً كثيرة من الجراثيم ينقسم احدها بحسب عملهِ الى قسمين (الاول) يعيش على حالة انفراد في الارض و(الثاني) يعيش داخل عقد موجودة في نباتات الفصيلة القرنية

(١) الجراثيم المنفردة التي تثبت ازوت الهواء — اذا جمعنا مقداراً معيناً من اوراق اي نبات وتركناها معرضة للهواء مدة سنة ثم وزناها بعد هذه المدة نجد انها فقدت جزءًا من ثقلها الاصلي وذلك لتبخر ما بها من الماء ولكن اذا حللناها في حالتيها نجد انها في الحالة الاخيرة قد تضاعف مقدار الازوت الاصلي فيها وعلى هذا المثال يحصل في الارض البائرة اي ان نسبة الازوت في الارض اذا تركت بدون زرع ترتفع وذلك ناشيءٌ عن نمو كائنات حية كثيرة الانواع اختصت بتثبيت الازوت ومن هذه الانواع جرثومة توجد مع جراثيم التعفن وظيفتها تثبيت ازوت الهواء وحفظهُ في الارض واهم هذه الجراثيم جرثومة كبيرة الحجم بالنسبة الى باقي الجراثيم وتسمى ازوتوباكتر لها مميزات ظاهرة خاصة بها دون باقي الجراثيم ولايضاح وظيفتها نعرب التجربة الآتية (عن كتاب تغذية الحيوان والنبات لمسترهول)

يركب محلول خال من المركبات الأزوتية كالآتي

٢,٠ فوسفات البوتاسيوم
١,٠ كبريتات المغنيسيوم
١,٠ كلورور الصوديوم

ثم نذيب ذلك في لتر من الماء ونضيف اليهِ نقطاً قليلة من محلول الكلورور الحديديك ونضع نحو مائة سنتيمتر مكعب من المحلول في زجاجات يضاف الى كل واحدة منها جرام من الجلوكوز ونصف جرام من كربونات الجير وبعد ذلك نسدها ونعقمها بتسخينها الى درجة غليان الماء لمدة ساعة او ما يقرب منها ثم نترك زجاجة او اثنتين بدون اضافة كربونات الجير فاذا اضفنا مخلوطاً من الجراثيم الى هذا الوسط غير الازوتي نجد ان القادرة منها على اخذ ازوت الهواء تعيش وتنمو والباقي يعيش على حالة سكون كالشيء الميت لان البكتيريا التي تعيش على المركبات الازوتية ولا تجدها على هذه الحالة حالة السكون حتى تجد الازوت فيعيد لها حالتها الاولى

والعدد الباقي من الزجاجات يضاف الى كل منها مقدار جرام من التراب وتوضع في محل دافئ مظلم لتفريخ الجراثيم التي في التراب كالمعتاد — وبعد اسبوع او عشرة ايام نمتحن الزجاجات فالموجود في طينها ازوتوباكتر فان السائل الذي فيها يرى مغطى بطبقة سمراء ويرى فيها جملة فقاقيع غازية — اما الزجاجات الخالية من كربونات الجير فلا ترى فوق سائلها تلك الطبقة السمراء ولا الغاز الاَّ اذا كانت الارض نفسها غنية بكربونات الجير

واذا حللنا محتويات الزجاجات نجد فيها جانباً من الازوت يكون غالباً بنسبة ثمانية ملي جرام ازوت مثبت من الهواء مضافة الى كل جرام من السكر المذاب في المحلول الاصلي (الجلوكوز) وهو ليس فقط ضرورياً لغذاء الازتوباكتر ولكنهُ كذلك يؤدي وظيفة المادة التي تؤكسد او تحترق لتمكن الازوت المنفرد من التحول الى مركبات ازوتية . والازوتوباكتر عامل قوي مؤكسد فالغاز المتطاير في اول نموهِ في الزجاجة هو ثاني اكسيد الكربون وفي اثناء عملهِ التأكسد جزء من الازوت الموجود يصير في حالة اتحاد . فجرثومة نافعة كالازوتوباكتر ومنتشرة في اغلب الاراضي تحفظ وتوجد جزءاً مهماً من الازوت المركب في الارض لجديرة بالاعتناء حتى تساعد على اداء عملها بانتظام و بدون تباطوء ولذلك فهي من الاهمية بمكان يستحق الالتفات وذلك بجعل الارض دائماً غنية باعطائها ما تحتاج اليهِ من الغذاء كالكلسيوم والفوسفور والبوتاسيوم والصوديوم الاَّ ان الاخيرين ليسا ضرورين للازوتوباكتر كباقي الكائنات الحية وكذلك المركبات الكربونية كبقايا النباتات

ويوجد في الارض نوع من المخلوقات الدقيقة تسمى بالنباتات الطحلبية كان يظن منذ ثلاثين عاماً ان فيها قوة تثبيت الازوت وذلك قبل اكتشاف جراثيم التثبيت لمصاحبتها بعضها لبعض وتقديم الاولى (الطحلبية) للثانية الغذاء بتمثيلها المركبات الكربوهيدراتية وبذلك تزداد نسبة تثبيت الازوت بجراثيم التثبيت· وعملية التثبيت لا تحصل الاَّ عند درجة حرارة محدودة فيقف عملها تحت درجة ١٠ من مقياس سنتجراد وكذلك يجب مراعاة عدم تشبع الارض بالماء فعند ما يزيد مقدار الرطوبة عن ١٥ في المائة يبطوء عمل الجراثيم لان الماء يمنع مرور الهواء على جزئيات الارض

ستأتي البقية

احمد مختار

كبر موسم القطن يقلل ثمنهُ

يشكو الاميركيون من ان كبر الموسم يقلل ثمنهُ وقد قالوا ان الموسم الماضي بلغ ١٦ مليون بالة والذي قبلهُ ١٢ مليون بالة والذي قبل هذا عشرة ملايين بالة ولكن ثمن الموسم الماضي نقص عن ثمن الموسم الذي قبلهُ ثمانية في المئة وزاد على ثمن الموسم الذي كان عشرة ملايين بالة فقط عشرة في المئة · اي ان الفلاح الاميركي تعب حتى حصل على موسم يزيد ثلاثين في المئة عن الموسم الذي قبلهُ فكانت النتيجة ان ثمنهُ نقص ثمانية في المئة عن ثمن الموسم الذي قبلهُ

ويود الاميركيون ان يتمكنوا من التحكم بوسمهم حتى لا يزيد على المقطوعية ولكنهم يخافون ان يقللوا مساحة الارض التي يزرعونها وتعرض للقطن آفات جوية فتتلف جانباً كبيراً منهُ كما يحدث احياناً فلا يعود قطنهم يكفي للمقطوعية فيغلو القطن كثيراً ويكون ذلك دافعاً لغيرهم على الاهتمام بزرعهِ فتتسع زراعتهُ جدًّا ويعود ذلك بالضرر عليهم · فهم يراعون الاحوال ويقللون زراعتهُ مرةً ويزيدونها اخرى حتى يرى كل من يقصد مناظرتهم انهم يستطيعون ان يكثروا زراعتهُ الى حد ان لا يبقى ربح لغيرهم من زرعهِ

والاراضي التي يمكن زرعها قطناً في اميركا واسعة جدًّا فيسهل عليهم ان يضاعفوا مساحة ما يزرع منهُ الآن ولكنهم لا يفعلون ذلك لقلَّة العمال عندهم وغلاء الاجور وخوفاً من هبوط السعر كثيراً بكثرة الحاصل فلا خوف من ان يرتكبوا الشطط ويزيدوا مساحة ما يزرع من القطن زيادة فاحشة ولا خوف ايضاً من هبوط الاسعار هبوطاً مستمرًّا

مقطوعية معامل الغزل

اثبتت جريدة البصير تقرير جمعية غزالي القطن عن مقطوعية معامله في سنة القطن الماضية التي تنتهي في ٣١ اغسطس وذلك بالبالات وهي كما ترى في هذا الجدول

	اميركي	هندي	مصري	مختلف	المجموع
الولايات المتحدة	٥٣٦٨٠٠٠	—	—	—	٥٣٦٨٠٠٠
انكلترا	٣٢٨٦٩٧٦	٣٩٩٥٧	٣٢٩٨٢١	١٠٥٧٠٨	٣٧٦٥٤٦٢
روسيا	٥٤٥٨٣١	١٨٣٦٩	٧٢٢٥١	١٣٩٨٦٢٨	٢٠٣٥٠٧٩
المانيا	١٣٧٥٦٩٤	٢٢٤١١٦	١٠٦٨٣٦	٦٣٦٤٠	١٠٧٧٢٨٦
الهند	٧٩٥٥٢	١٥٢٤ ٣٢	١٠٥٢	١٩١٥	١٦٠٠٥٥١
اليابان	٣٦٥٢٤٠	٨١٠٤٦٤	٢٠٥١٥	١٤٥٦٢٠	١٣٤١٨٣٩
فرنسا	٨٠٤٥١٦	٨٢٥٣٨	٧٣٧٢٧	٢٧٠٦٢	٩٨٧٨٤٣
النمسا	٦٤٤٨١٢	١٦٢٣٧٣	٣٣٥٤٣	٢٣٣٦٨	٨٦٤٠٩٦
ايطاليا	٦١٦١٦٢	١٦١٨٤٢	٢١٢٤٥	١٣٥١١	٨١٢٧٦٠
اسبانيا	٢٨٤٨٩٠	١٣٣٠٨	١٥٤١٠	١٠١٤٢	٣٢٣٧٥٠
المكسيك والبرازيل	٤٦٠٧	—	٣٧٥	٢٤٢٦٩٩	٢٤٧٦٨١
بلجيكا	١٧١٨٩٩	٦٠٩٩٨	٩٣٧	٩٤٨	٢٣٤٣٨٢
كندا	١١٤٦٦٥	—	٤٥٣	٣٠٠	١١٥٤١٨
سويسرا	٥٩٦٠٦	٢٨٢٤	٢٥١١٢	٣٢٨٩	٩٠٨٣١
هولاندا	٧٣٩٦٢	٨٨٢٢	—	٣٠٣٣	٨٤٨١٧
اسوج	٧٣٦٢٦	٤٨٧٥	١٢٨	٩١	٧٨٧٢٧
البورتغال	٥٠٢٦٠	١٠٢٠	٥٨٠	١٥٦٨٠	٦٧٩٤٠
الدنمرك	٢٤٣٤٢	٣٣١	—	٤٧٢	٢٥١٤٥
نروج	٩٦٩٠	٨٩٤	—	٢٠١	١٠٧٨٥
مجموع سنة ١٩١١ — ١٢	١٣٩٥٧٣٣٠	٣١١٦٧٦٣	٧٠١٩٨٥	٢٠٥٥٣١٤	١٩٨٣١٣٩٢
٣١ اغسطس ١٩١٠ — ١١	١١٥٠٩٤٠١	٣٦٤٧٧١٤	٦٦٤٨٢٢	١٩٤٧١٣٨	١٧٨١٩٠٧٠
٣١ اغسطس ١٩٠٩ — ١٠	١١١٤٥١٧٨	٣٦٨٣٩١٢	٦٢٩٥٩٦	١٥٦١٨٢٥	١٧٠٢٠٥١١

فيرى من ذلك ان مقطوعية المعامل بلغت في العام الماضي نحو عشرين مليون بالة او اكثر من ذلك لان ليس في هذا الاحصاء ما اخذتهُ اميركا من القطن المصري مع انها اخذت منهُ ٠٨٨ ٩٣٨ قنطاراً فاذا حسبناها بالات وكل بالة خمسة قناطير كالبالات

الاميركية بلغت ١٨٧٦١٣ بالة · وقد بلغ الصادر من القطر المصري الى كل البلدان ٧٣٤٧٢٢٣ قنطاراً او ٩٦٢٧٧٣ بالة مصرية واذا حسبناها بالات اميركية بلغت ١٤٦٩٤٤٤ بالة لا ٧٠١٩٨٥

ونقل البصير ايضاً عدد المغازل في كلٍّ من هذه البلدان وهو كما ترى في هذا الجدول ويليهِ المخزون في المعامل بالبالات حتى آخر اغسطس

	عدد المغازل	اميركي	هندي	مصري	مختلف	المجموع
انكلترا	٥٥٣١٧٠٨٣	٢٤٥٨٣٩	١٠٨٢٦	٧٤٤٣٨	٢٩٧٢٢	٣٦٠٨٣٥
المانيا	١٠٧٢٥٧٢٣	١٩٧٨٣٨	٥٩٨٣٢	٢٥١٨٦	١٥٤٠٢	٢٩٨٢٥٨
روسيا	٨٨٠٠٠٠٠	٩٥١٤٨	٤٥٥٥	١٩٦٠٦	٤٨ ٥٢٤	٥٩٩٨٣٣
فرنسا	٧٤٠٠٠٠٠	٨٩٠٠٤	٣٦٥٣٤	١٩٧٩٤	٨٣٥٠	١٥٣٦٨٢
الهند	٦١٩٥٢١٤	٦٤٤٤٠	٤٢٠٦٢٢	٣٢٥	٧٣٦	٤٨٦١٢٣
النمسا	٤٧٩٧٩٣٥	٩٩٨٥٧	٥٩٥٣٩	٧٠٨٦	٤٥ ٥	١٧٠٨٠٧
ايطاليا	٤٥٨٠٠٠٠	٩٣٩٤٨	٣٢٩٠١	٤١٧٨	٢١٠٠	١٣٣١٢٧
المكسيك والبرازيل	٢٩٠٠٠٠٠	١٠٧٦	—	٣١٥	١٣٥٦٠	٤٤٩٥١
اسبانيا	٢٢٠٠٠٠٠	٣٠١٠٤	٤١٨٢	١٥٤٠	٢٤٥٤	٣٨٢٨٠
اليابان	٢١٩١٩٦٠	١٢٥٨٤٧	٣٨٥٩٦٤	٨٥٦٤	١٦٥١٤	٥٣٦٨٨٩
سويسرا	١٤٠٨٤٥٣	١٢٠٩٠	٨٧٧	٧٩٥١	٥١٠	٢١٤٢٨
بلجيكا	١٣٨٧٦٥٤	٢١٨٦٢	٢٨٥١٣	١٠٢	٣٣٣	٥٠٨١٠
اسوج	٥٢٩٧٧٢	١٠٦٤٤	٧٢٥	٢٧٢	١	١١٦٤٢
البورتغال	٤٨٠٠٠٠	٥٩٨٠	٣٩٠	٢٨٠	١٨٥٠	٨٥٠٠
هولاندا	٤٥٣٧٥٢	٨٣٠٤	٢١٧٨	—	٢٦٣	١٠٧٤٥
دنمرك	٨٣٦٨٤	١٣٢١	—	—	١٤٥	١٤٦٦
نروج	٧٣٥٦٨	١٤٨٤	٣٩٣	—	١٠٥	٢١٨٢
الولايات المتحدة	٣٠٣١٣٠٠٠	٨٧١٠٠٠	—	—	—	٨٧١٠٠٠
كندا	٨٥٥٢٩٣	٤١٣١٩	—	٣٩٨	٢٧٥	٤١٩٩٢
المجموع	١٤٠٦٩٣١٠٣	٢٠٤٤١٠٥	١٠٤٨ ٥١	١٧ ٠٣٥	٦٠٧٣٤٩	٣٨٦٩٥٤٠
٣١ اغسطس سنة ١٩١١	١٣٧٢٧٨٧٥٢	١١٣٥١٦٦	٩٠٧٤٩٢	١٣٧٥٦٩	٤٤٨٨٣٥	٢٦١٩٠٥٢
٣١ اغسطس سنة ١٩١٠	١٣٣٣٨٤٧٩٤	١١٣٣٨٣٦	٩٩٥٨٩٢	١١١٧١٨	٢٩٣٣٥٠	١٥٣٣٧٨٦

وواضح من هذا الجدول ان انكلترا واميركا اكثر البلدان مغازل لغزل القطن وانوالاً لنسجهِ وتتلوهما المانيا فروسيا وفرنسا وهلمَّ جرًّا وان مجموع ما كان في معامل القطن في اول

سبتمبر الماضي نحو اربعة ملايين بالة اي نحو خمس ما تغزلهُ المعامل في السنة او ما يكفيها شهرين ونصف شهر • وقد زاد هذا المخزون عما كان في العام السابق والذي قبلهُ بسبب كبر الموسم الاميركي ولكن يظهر من الجدول السابق ان المعامل قطعت في العام الاخير مليوني بالة زيادة عما قطعتهُ في العام الذي قبلهُ فاذا لم يزد موسم اميركا الحاضر على ١٤ مليون بالة قلَّ ما يبقى في المعامل في آخر سنة القطن الحالية فيغلو سعرهُ وسعر الموسم المقبل

باب التقريظ والانتقاد

مصر الحاضرة

L'EGYPTE D'AUJOURD'HUI

هو كتاب حافل بالفوائد الاحصائية والاقتصادية عن القطر المصري وضعهُ حضرة الكونت قريصاتي باللغة الفرنسوية وضمنهُ كل ما تهمُّ معرفتهُ للباحث في احوال هذا القطر كجغرافية مصر وانواع تربتها ومزروعاتها والفصل الذي يزرع فيهِ كل منها ومساحة ما يزرع منهُ ومتوسط غلتهِ وثمنها ونفقاتها وصادرات البلاد الزراعية وعدد السكان وتزايدهم المستمر منذ سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٩١٠ ومقدار ما يوجد منهم في الكيلومتر المربع ونسبة ذلك الى ما في البلدان الاوربية من عدد السكان . واحوال البلاد السياسية والمالية والقضائية والتجارية وثبوت سياستها وثروتها ومقدار ديون الاهالي الى غير ذلك من المواضيع التي تلذُّ مطالعتها وتفيد.

ومما عثرنا عليهِ من الخطإِ الدوائر التي دلَّ بها على نسبة ما تأخذهُ البلدان المختلفة من القطن المصري فانهُ حسب ان اقطار الدوائر تقوم مقام مساحات سطوحها فعبَّر عمَّا تأخذهُ انكلترا بدائرة قطرها ستة سنتيمترات ونصف سنتيمتر وعمَّا تأخذهُ فرنسا بدائرة قطرها ١٢ مليمتراً كأنَّ انكلترا تأخذ اكثر مما تأخذهُ فرنسا ثلاثين ضعفاً والصحيح انها اخذت في العام الماضي ٣٠٣٤١٢٦ قنطاراً وفرنسا اخذت ٥٣٥٥٢٥ قنطاراً اي اكثر من سدس ما اخذتهُ انكلترا

وهذا الخطأُ من قبيل السهو فلا ضرر منهُ ولكنَّ الخطأ الذي اضرَّ القطر المصري وسيضرُّهُ كثيراً هو الجدول الملون في الصورة الثالثة عشرة على الصفحة ١٩٩ حيث قوبلت

الديون العقارية المصرية بالديون العقارية في بلدان اخرى على صورة تقنع الاوربي ان اطيان القطر المصري تحتمل اربعة اضعاف ما عليها من الدَّين فيتهافت الماليون على ارسال اموالهم الى القطر المصري ويتهافت سكان القطر على استدانتها فتكون النتيجة انهم يستغرقون في الدين ويفقدون اطيانهم

فقد ذكر في هذا الجدول ان نسبة الديون العقارية الى قيمة العقارات في البلدان التالية هي هكذا

٥٠ في المئة في الدنمرك
٥٠ « « « انكلترا
٤٠ « « « روسيا
٣٩,٣٠ « « « بروسيا
٣٧ « « « نروج
٣٧ « « « النمسا
٢٢ « « « رومانيا
٢٠,٣٧ « « « المجر
١٧ « « « الولايات المتحدة
١٦ « « « ايطاليا
١١,١٤ « « « الارجنتين
١٠,٨٠ « « « فرنسا
١٠ « « « اسبانيا
٩,٤١ « « « مصر

فاذا سلمنا بصحة هذا البيان في الدنمرك وانكلترا وروسيا الخ فاننا لا نسلم بصحتهِ في القطر المصري لان دين الحكومة المصرية واقع اكثرهُ على الاطيان اذ ليس لها مورد آخر لايفاء فوائدهِ غير ريع الاطيان وكذلك ايراد الحكومة المصرية بمثابة فائدة دين واقع على الاطيان لان ليس للسكان ايراد آخر يعطونهُ منهُ . فالدين العقاري المعروف للبنوك كان ٤٤ مليون جنيه في العام الماضي او ما قبلهُ ودين الحكومة ٩٥ مليون جنيه يخرج منهُ ٢٥ مليون جنيه تحملها سكك الحديد المصرية فيبقى ٧٠ مليون جنيه تحمل فوائدها الاطيان . ثم ان الضرائب وهي خمسة ملايين ونصف من الجنيهات يجب ان يحسب منها اربعة ملايين

ونصف مليون بمثابة فائدة دين على الاطيان لانها من الضرائب التي لا تحملها الاطيان في بلاد اخرى . وهذه تساوي فائدة مئة مليون من الجنيهات فكأَن اطيان القطر المصري متحملة الآن الديون التالية

٤٤ مليون جنيه للبنك العقاري ونحوهِ من البنوك
٧٠ مليون جنيه من دين الحكومة المصرية
١٠٠ مليون جنيه مقابل زيادة ضرائب الاطيان على مثلها في البلدان الاخرى
والجملة ٢١٤ مليون جنيه

وقد حسب الكونت قريصاتي ان ثمن اطيان القطر المصري نحو ٥٧٧ مليون جنيه . ونحن نخالفهُ في ذلك لان قيمة حاصلات الاطيان في السنة نحو سبعين مليون جنيه (لا ستين مليوناً كما قدَّر) يذهب منها كل البرسيم والتبن والشعير والفول علفاً للمواشي التي تستخدم في الزراعة و يذهب منها الذرة والقمح والارز والبصل والبقول طعاماً للفلاحين وعيالهم الذين يعملون في الزراعة فلا يبقى الاَّ ثمن القطن و بعض ثمن السكر والبصل . ولا بدَّ من ان يذهب بعض هذا الثمن في مشترى الثياب للفلاحين وعيالهم ويذهب منها ايضاً ثمن الفحم الذي يحرق للري واجرة الاسطوات والغفراء فلا يبقى حقيقة من ثمن الحاصلات الزراعية التي تزيد على مصاريف الزراعة الاَّ نحو ٢٤ مليون جنيه فاذا حولناها الى راس مال بلغ اربعمئة مليون جنيه لا غير

و يمكن الوصول الى هذه النتيجة على طريقة اخرى وهي ان عدد العاملين بالزراعة في القطر المصري نحو مليونين ونصف وكل معيشتهم منها فاذا حسبنا ان متوسط اجرة الواحد منهم ثلاثة غروش في اليوم بلغت اجرتهم في السنة ٢٧ مليون جنيه اضف الى ذلك علف مواشي الزراعة من البرسيم والفول والشعير والتبن وثمن الفحم والشحم والزيت وعمَّال آلات الري فيكون المجموع ٤٦ مليون جنيه على الاقل فلا يبقى من صافي ريع الاطيان الاَّ ٢٤ مليون جنيه فيكون ثمنها نحو اربع مئة مليون

فكأَن الدين الذي على الاطيان او الذي تلتزم بايفاء فائدتهِ سنوياً يبلغ اكثر من ٥٣ في المئة من ثمنها . وعليهِ فهي مديونة اكثر من كل عقارات البلدان الاخرى ولا تحتمل ان يزاد دينها على الاطلاق بل لا ندري كيف تقوم بايفاء الدين الذي عليها الآن

وان قيل لماذا لم تحسبوا ديون بقية الممالك على عقارات شعوبها قلنا ان لبقية الشعوب ابواباً اخرى للرزق توفى منها ديون حكوماتهم ونفقاتها اخصها الصناعة والتجارة وحسبُنا ان

دخل النفس في انكلترا نحو اربعة واربعين جنيهاً في السنة ودخل النفس عندنا اقل من ستة جنيهات فالجنيه الذي يدفعهُ المصري لحكومتهِ في السنة اثقل عليهِ من اربعة جنيهات يدفعها الانكليزي لحكومتهِ . والمصري يدفع ما عليهِ من ريع اطيانهِ واما الانكليزي فمن صناعتهِ وتجارتهِ وريع اموالهِ المشغلة في المسكونة وقس عليهِ الفرنسوي والالماني وغيرهما

فعسى اصحاب البنوك العقارية ان يعتبروا هذه الامور ولا يسعوا لتحميل العقارات المصرية فوق طاقتها

وكتاب مصر الحاضرة حريٌّ بان يطالعهُ كل من يعرف الفرنسوية في هذا القطر لكثرة فوائدهِ فنشكر لحضرة الكونت قريصاتي على هذه التحفة النفيسة

رواسب الصودا في مصر

Natural Soda Deposits in Egypt, by A. Lucas, F.I.C.

هو رسالة وضعها كيماوي مصلحة المساحة المستر لوكاس في وصف وادي النطرون وما فيهِ من الرواسب الكيماوية كالنطرون والملح ونحوهما

والنطرون مركَّب من كربونات الصوديوم وبي كربوناتهِ ويخالطهُ غالباً شيءٌ من كلوريد الصوديوم وكبريتاتهِ والرمل والطين واكسيد الحديد وكربونات الكلسيوم وكبريتاتهِ

ووادي النطرون منخفض من الصحراء في الجهة الغربية الشمالية من القاهرة يسفل قاعهُ عن سطح بحر الروم نحو ٢٣ متراً . فيهِ الآن ست بحيرات كبيرة ونحو ١٥ بحيرة متفاوتة الصغر يجفُّ اكثرها صيفاً وكانت بحيراتهُ متصلة بعضها ببعض في الزمن الغابر او كان فيهِ بحيرة واحدة

وماءُ هذه البحيرات متفاوت في ثقلهِ النوعي من ١٫٠٧٠ الى ١٫٢٦٠ وفي اللتر منهُ من ٦٢ غراماً من كربونات الصوديوم الى ٣ غرامات ومن ٢٧٥ غراماً من كلوريد الصوديوم الى ٥٦ غراماً ومن ٦٤ غراماً من كبريتات الصوديوم الى ١٩ غراماً

وينبع في هذه البحيرات ويجري اليها ماءٌ يختلف مقدار ما فيهِ من الاملاح باختلاف شهور السنة فيزيد في بعضها حتى يبلغ اكثر من اربعة غرامات في اللتر ويقل في البعض الاخر حتى يبلغ اقل من ثلث غرام في اللتر

وقد جاء في آخر هذه الرسالة ان شركة الصودا استخرجت من وادي النطرون في العام الماضي واصدرت من النطرون ما ثمنهُ ١٥٠٤ جنيهات ومن الصودا الكاوي ما ثمنهُ ٩٦٦٦ جنيهاً عدا ما استعمل في مصر لعمل الصابون

الهندسة الفراغية

هو مقرَّر السنة الرابعة الثانوية في قسم العلوم بالمدارس المصرية أَلَّفهُ حضرة ميشيل افندي ظريفه مدرس الرياضة بالمدرسة السعيدية الثانوية مستعيناً باحسن المؤلفات الانكليزية والفرنسوية وذيلهُ بجدول يشمل الاصطلاحات الخاصة باللغتين الانكليزية والفرنسوية والحق قواعدهُ بتمارين كثيرة

وما دام تعليم العلوم قد انتقل الى العربية فيحسن بالمترجمين والمؤلفين ان يعودوا الى المصطلحات العربية القديمة التي وضعها مترجمو كتب اقليدس وارخميدس وابلونيوس او يعتمدوا على نوع واحد من المصطلحات الجديدة التي تؤدي المعنى المراد . فاننا نقرأ بعض قواعد هذا الكتاب فلا نكاد نفهمها لغرابة مصطلحاتها وتراكيبها كقولهِ « المساحة السطحية الجانبية لمخروط الدوران الناقص تساوي حاصل ضرب نصف مجموع محيطي دائرتي القاعدتين في الضلع المائل » فان كلمة مخروط الدوران الناقص مبهمة اذ تحسب فيها كلمة الناقص نعتاً لكلمة الدوران . وقد عبَّر الدكتور فان ديك عن هذه القاعدة بقولهِ « لاستعلام مساحة السطح المحدب لمخروط ناقص قائم اضرب نصف علوهِ المائل في مجتمع محيطي ظرفيهِ » فهذا كلام وجيز يدل على المعنى المراد

رواية روح المصور

اختارها الدكتور علي بك البقلي من بين الروايات الفرنسوية الكثيرة لانهُ رآها تحتوي على بحث مهم في الاخلاق وتأثير الاعتقاد وما يفضي اليهِ الانغماس في الملذات والشهوات من اماتة النفس واخراج الانسان من طور الانسانية الى حضيض التوحش

والرواية حسنة الاسلوب محكمة التعريب وكفى شهادة لها ان مؤلفها المسيو جورج هونيه ومترجمها الدكتور علي بك البقلي . ولكن ورقها وطبعها سقيمان

الاسلام والاصلاح

تقرير رسمي رفعهُ السر رتشرد وود قنصل انكلترا الجنرال ووكيلها السيامي في تونس الى ناظر خارجية حكومتهِ ونشرتهُ الحكومة الانكليزية في الكتاب الازرق سنة ١٨٧٨ وقد ترجم حينئذٍ الى العربية ونشر فيها ثم اعاد طبعهُ حضرة محب الدين افندي الخطيب بعد ان نقحهُ والحقهُ بترجمة المقالة التي وضعها رفيق بك مناسي في تاريخ الجندية العثمانية

وتقرير السر رتشرد وود قوي الحجة ناصع البيان واذا كان نجاح الامم متوقفاً على

اوامر دينها ونواهيهِ من حيث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجب ان تكون الممالك العثمانية ارقى ممالك الارض واقواها واغناها . ولكن هل يختلف اثنان في ان اليابانيين الذين نهضوا بالامس من حضيض البربرية قد صاروا اقوى منا واعلم وامهر وديانتهم وثنية . او هل يختلف اثنان في ان الانكليز والفرنسويين والالمانيين والنمسويين ارقى منا واقوى واغنى واعلم وامهر . ولا ندري ما كان يقول واضع هذا التقرير منذ بضعة اعوام حينما كان سمك البوسفور يغتذي بلحم ابناء السلطنة ايبقى على قولهِ « انهُ قد حدث ما يكفي لفتح طريق صالحة لان تسلكها دولة ذات مجلس شوروي »

يظن قوم ان وعظ الوعاظ وفتاوى المفتين تصلح البلدان والسكان فليفعلوا وعسى ان يفلحوا. ولكن الذين درسوا تاريخ العمران يرون ان للارتقاء الادبي والمادي اسباباً كثيرة قلما تخطر على بال الوعاظ والمفتين وان لورد كرومر افاد مصر في بضع سنوات اكثر ممَّا افادها علماؤُها ووعاظها في قرون

امتيازات الجماعات المسيحية

في الممالك العثمانية

رسالة كتبها ستافروس فوتيراس محرر جريدة النيولوغوس اليونانية التي تصدر في الاستانة وعربها عن اليونانية الاستاذ غطاس قندلفت مدير المدرسة الاكليريكية في البلمند. وقد اورد حضرة الكاتب نص العهدة التي يقال ان الامام عمر بن الخطاب اعطاها للبطريرك صفرونيوس الاورشليمي عند افتتاح بيت المقدس سنة ٦٣٧ للميلاد وقال ان نسختها الاصلية مكتوبة بحروف كوفية ومحفوظة بين اوراق دير الروم في القدس الشريف . ولا ندري ما هو الدليل الذي يقيمهُ حضرة الكاتب او غيرهُ من الذين يدعون وجود النسخة الاصلية من هذه العهدة على صحة دعواهم . لكن الشك في صحة وجود النسخة الاصلية لا ينفي ما تعهد بهِ خلفاء المسلمين للمسيحيين في ازمنة مختلفة ممَّا لا يزال معمولاً بهِ الى الآن

وفي الرسالة بحث تاريخي مسهب في امتيازات المسيحيين في الممالك العثمانية مؤيد بقول عالي باشا في تقريرهِ للدول العظمى سنة ١٨٥٥ حيث قال « ان وظيفة البطاركة قد جمعت عدة حقوق مدنية ودينية بنوع انهُ يمكن ان يقال انهُ في ما عدا السلطة المدنية التي تتولاها الحكومة الاسلامية فشؤُون المسيحيين ومحاكمتهم وتدبير احوالهم مودعة لسلطة مسيحية لا لسلطة اسلامية »

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويُشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الرعوية الانكليزية

دمشق · ناصيف افندي داود عدره · اخبرني احد اصدقائي ان غير الانكليزي اذا استأجر غرفة في بلاد الانكليز مدة ثلاث سنوات وسجلها في الحكومة يعتبر كأنهُ ساكن في بلاد الانكليز فيحق لهُ بعد ذلك ان يدخل في التابعية الانكليزية فهل ذلك صحيح · والاَّ فما هي الطريقة لدخول غير الانكليزي في التابعية الانكليزية

ج · يجب ان يقيم خمس سنوات في بلاد انكليزية وحينئذٍ يحسب من رعايا الانكليز ما دام في بلادهم ولكنهُ لا يعد من رعاياهم اذا عاد الى بلادهِ التي كان من رعاياها الاَّ اذا اخرجتهُ بلادهُ من رعويتها او اذنت لهُ في اتخاذ رعوية اخرى

(٢) السماد الكيماوي

دمشق · احد ارباب الزراعة · ذكرتم في العدد السادس من المجلد الاربعين من المقتطف الفوائد التي حصلت بالتجربة من استعمال نترات الصودا سمادًا للذرة والقمح فنرجو ان تذكروا لنا عنوان الشركة التي تبيع نترات الصودا في القطر المصري وكم يساوي الكيلو وهل يمكن تصدير شيء منهُ الى سورية اذا طلبناهُ مصحوبًا طلبنا بالثمن

ج · ان كثيرين يبيعون السماد الكيماوي في القطر المصري ومنهم الجمعية الزراعية الخديوية · وثمن المئة كيلو مئة وخمسون غرشًا مصريًّا او نحو اربعين فرنكًا واذا خاطبتم في ذلك حضرة عبد الحميد بك اباظه مدير الجمعية الزراعية بمصر او حضرة الامير وديع شهاب في الفيوم علمتم منهما ما تطلبونهُ

(٣) القدر

جرجا · ميشيل افندي صفير · حصلت مباحثة بيني وبين البعض في الاقدار وتأثيرها في اعمال الانسان فالبعض اثبتها والبعض نفاها قائلاً ان عقل الانسان هو مصدر كل عمل في حياتهِ واعمالهِ ولا دخل للاقدار في ذلك فنرجو ان تخبرونا ما هو القول الفصل في ذلك

ج · لا شبهة ان الانسان يتصرف في اموره كأنهُ حرٌّ مطلق وينال غالباً حسب سعيهِ فاذا درس حصَّل واذا جدَّ وجد ولكن لا شبهة ايضاً في انهُ يتأثر بعوامل كثيرة لا يستطيع دفعها فالشمس تؤَثر فيهِ بحرها ونورها والرياح والامطار والثلوج والزوابع والعواصف وميكروبات الامراض على اختلاف انواعها كل ذلك يؤَثر في احوالهِ تأثيراً كبيراً · والبشر انفسهم يؤَثر بعضهم في بعض تأثيراً يتعذر دفعهُ او اتقاؤُهُ · ومن اول غايات العمران تذليل قوى الطبيعة وعواديها لارادة الانسان وقد نجح في بعض ذلك ولكنهُ لا يزال عرضة لقوى كثيرة يتعذر عليهِ دفعها · وعليهِ فالانسان حرٌّ مستقل في اعمالهِ من بعض الوجوه وعبد مقيد من وجوه أُخرى

(٤) آلة كشف الماء

بعلبك · ميخائيل افندي مومنى الوف · اصحيح انهُ يوجد آلة في اوربا يستدل بها على وجود الماء في الارض

ج · نعم استنبط رجل اسمهُ منسفيلد آلة يدعي انها تدل على وجود الماء ويقال ان اجزاءها الجوهرية ابرة مغنطيسية ولفات معدنية تتأثر بالكهربائية الصاعدة من الارض الى الهواء وان هذه الكهربائية تكون على اشدها قرب ينابيع الماء فاذا زادت حركة الابرة المغنطيسية في هذه الآلة دلَّ ذلك على وجود الماء ولو تحت الارض · وعنوان اصحاب هذه الآلة

Messrs. W. Mansfield & Co.
21 Creewood Buildings
Brunswick St. Liverpool

اما نحن فرجح ان هذه الآلة لا تدلُّ على شيءٍ وان مستعملها يصيب بفراستهِ واختبارهِ ان اصاب

(٥) الميل الى الشر

بغداد · رزوق افندي عيسى · لماذا تجنح الطبيعة البشرية الى فعل الاثم اكثر مما تجنح الى فعل الصلاح

ج · لا بدَّ من انكم تسألون عن التعليل العلمي لا الديني · فالتعليل العلمي ان ما نحسبهُ اثماً الآن لم يكن اثماً في كل الازمنة والاحوال كما هو الآن فقتل رجل لاغتنام ما عندهُ اثم عندنا ولكن شرائع الحروب تجيزهُ في احوال كثيرة وقد كان جائزاً شائعاً عند المتوحشين ولولاهُ ما بقي مَن كان اشد قوةً او حيلةً وقس على ذلك كل طرق الاغتصاب والخداع فانها كانت شائعة عند المتوحشين دهوراً كثيرةً فرسخت آثارها في اخلاق البشر ثم لما ارتقى العقل وتعلَّم الانسان بالاختبار ان السلامة اسلم والعدل انفع قويت الاخلاق الفاضلة رويداً رويداً ولكن لم يمرَّ عليها حتى الآن الزمن الكافي لكي تتغلَّب على آثار الاخلاق السيئة التي رسخت في اسلافهِ مدة دهور كثيرة حتى قيل والظلم من شيم النفوس

(٦) مَن المسؤول عن ابناء المصابين

ومنهُ . ان ابناء السكارى والمعتوهين والمصابين بالسل والزهري هم على الغالب نحيفو الاجسام وقد يرثون امراض والديهم فهل هذا حق سواءٌ توجه اللوم على الوالدين او على الطبيعة

ج . لا شبهة في ان هؤلاء الوالدين ملومون لدى اولادهم ولدى بلادهم ولذلك سنَّت بعض الولايات الاميركية قانونًا تمنع بهِ زواج المرء ما لم ينل شهادة طبية تثبت سلامتهُ من الامراض الوراثية . اما الطبيعة فلا يسوءُها لومنا ولا يسرها رضانا ولعلَّ مقاومتنا لها بحفظ نسل المرضى والسقماء سيأول الى ضعف النوع لا الى تقويتهِ

(٧) المادة والقوة

ومنهُ . هل مادة الكون وجدت اولاً او قوتهُ

ج . تدلُّ المباحث الطبيعية الحديثة على ان المادة تنحلُّ الى قوة وان القوة تتركَّب فتصير مادة فاذا ثبت ذلك فتكون المادة والقوة صورتين مختلفتين لشيءٍ واحد اي انهما وجدتا معًا

(٨) احاطة المقتطف

بغداد . احد المشتركين . في اي جزءٍ وتحت اي عنوان من مقالات المقتطف ذكرتم ان المكتبة التي تتضمن جميع مجلدات المقتطف تكون قد جمعت تقريبًا مجموعة دائرة المعارف

ج . لا نتذكر اننا ذكرنا ذلك مطلقًا . ولم نقصد قط ان نجمع في المقتطف كل ما يمكن جمعهُ في دائرة المعارف وانما قصدنا ان نتتبع العلوم والفنون فنشرحها ونذكر كل ما يجدُّ فيها شهرًا بعد شهر

(٩) العين الكهربائية

ومنهُ . هل اهتدى المخترعون الى وضع عين كهربائية تكون اشعتها بمنزلة الشبكية في عين الاعمى فيدرك بها تمام البصر

كلاَّ ولكنهم سائرون في السبيل المؤدي الى ذلك فان عنصر السلينيوم يتأثر بالنور ويولّد كهربائية وقد صنع بعضهم آلة منهُ تتأثر برؤية المرئيات وتولد اهتزازات كهربائية يسمع صوتهُ فيحتمل ان يدرك الاعمى بها ما حولهُ من المرئيات ولكن يكون ادراكهُ لها من قبيل السمع

(١٠) القطن السي ايلند بمصر

الزقازيق . فؤاد افندي حسني . هل اذا زرعت بزرة القطن المسمى سي ايلند في القطر المصري تأتي بمحصول جيد وما ثمن القنطار منهُ

ج . نرجح انها تأتي بمحصول جيد . ويرجح ان القطن المصري متولد من اختلاطها بالقطن الاشموني الابيض ولكن لا بدَّ من زرعها في الاطيان القريبة من البحر المتوسط التي في ارضها او هوائها شيء من الملح . واذا كان ثمن القنطار العفيفي اربعة جنيهات فثمن القنطار من السي ايلند سبعة او ثمانية

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٢	٥	٣٨	صباحاً
الهلال	٩	٤	٥	"
الربع الاول	١٧	٠٠	٤٣	"
البدر	٢٤	٦	١٢	مساءً
القمر في الحضيض	٣	٠٠	٥٤	"
" في الاوج	١٦	٠٠	٣٠	"
" في الحضيض	٢٨	٠٠	٤٢	"

السيارات

عطارد والزهرة والمشتري ترى مساءً اثناء الشهر كلهِ

المريخ — لا يرى

زحل — يرى اثناء الليل

تمثال المموث

وجد تمثال من العاج للمموث (وهو الفيل القديم الذي انقرض من المسكونة وكان كثيراً قبل العصر الجليدي) وذلك قرب المكان الذي حدثت فيهِ معركة استرلتز المشهورة. طول هذا التمثال ١١٦ مليمتراً وعرضهُ ٩٦ مليمتراً وقد وصفهُ المسيو اوبرمير والمسيو برويل في مجلة الانثروبولوجيا وقالا انهُ ادق صور المموث التي وجدت حتى الآن. وقد كان المموث يمرح في سهول اوربا قبل العصر الجليدي وكان الناس يصطادونهُ ويأكلون لحمهُ وليس في ذلك شيءٌ من الغرابة لان المتوحشين يصطادون الفيل الآن في قلب افريقية ويأكلون لحمهُ ولكن الغرابة في ان اولئك القدماء كانوا ماهرين في قطع عاج انيابهِ وحفر صورتهِ عليها وهذا ما لا يستطيعهُ متوحشو افريقية الآن

سكك السيارات

انشئت سكة للسيارة اي الاوتوموبيل بين القاهرة والاسكندرية فجاءَت وافية بالمراد تسير عليها السيارات بسهولة. لكن البلاد في حاجة شديدة الى سكك مثل هذه بين كل مراكز الزراعة الكبيرة ومحطات سكك الحديد لتسهيل نقل الحاصلات الى سكك الحديد بدل نقلها على ظهور الدواب

الحلب بالكهربائية

ان مَن يرى الحلابات يحلبن البقر باصابعهن الوسخة يعاف شرب اللبن. نعم ان الاغلاءَ يميت اكثر الجراثيم الحية فلا تبقى

في اللبن مادة ضارة على الراجح ولكن اذا امكن حلب اللبن خالياً من الاوساخ والشواب كان ذلك اسلم عاقبةً . وقد صنعت آلة تقبض على اخلاف البقرة وتحلبها وتكون حركتها بواسطة الكهربائية فاذا كان المجرى الكهربائي واصلاً الى حيث تقيم البقرة اوصلت هذه الآلة بالمجرى الكهربائي كما يوصل المصباح الكهربائي ووضعت اخلاف البقرة بين مواسكها فتحلبها كما تحلَب باليد . وقد جربت هذه الآلة في ضواحي برلين فوفت بالغرض

اقوى القاطرات

صنعت قاطرة لسكة حديد فرجينيا باميركا ثقلها ٧٥٢ الف ليبرة ويقال انها كافية لجر ١٥٥ عربة تحمل كلٌّ منها ٥٠ طنًا

جائزة نوبل الطبية

اعطيت جائزة نوبل للدكتور الكسس كاريل من اطباء معهد البحث الطبي الذي انشأهُ ركفلر في نيويورك لاجل ما فعلهُ في خياطة الاوعية الدموية ونقل الاعضاء . ومقدار الجائزة ٧٨٠٠ جنيه

امراض قدماء المصريين

يظهر من بحث الدكتور اليوت سمث والدكتور رفر في الاجسام المصرية المحنطة ان امراض قدماء المصريين كانت مثل الامراض الشائعة الآن فكانوا يصابون بالحصاة والنقرس والجذام والتهاب الزائدة الدودية وكان تصلب الشرايين اكثر شيوعاً حينئذٍ منهُ الآن وكذلك كان نقد الاسنان والتهاب المفاصل الذي ينتج عنهُ تشوه الخلقة لكن المباحث الحديثة لا تدل على ان المصريين الاقدمين كانوا ماهرين في طب الاسنان كما كان يظن

البرد اللازم لحفظ بعض الاطعمة

التفاح	الدرجة	٣٥	بميزان	فارنهيت
الهليون	»	٣٤	»	»
لحم البقر الطري	»	٣٥	»	»
» » المملح	»	٣٦	»	»
» » المقدد	»	٤٠	»	»
الزبدة	»	٢٠	»	»
الجبن	»	٣٤	»	»
التمر	»	٥٠	»	»
البيض	»	٣٢	»	»
الاثمار اليابسة	»	٣٨	»	»
السمك الجديد	»	٢٨	»	»
» المقدد	»	٢٥	»	»
العنب	»	٣٥	»	»
العسل	»	٣٨	»	»
اللبن	»	٣٤	»	»
البرتقال	»	٣٦	»	»
الخمر	»	٤٥	»	»

لؤلؤ النوتلس

النوتلس حيوان بوق بحري صورناهُ ووصفناهُ بالاسهاب في بعض الاجزاء الماضية من المقتطف يوجد اللؤلؤ فيهِ احياناً وقد وجدت فيهِ لؤلؤة كمثرية الشكل طولها نحو سنتيمتر ونصف وعرضها الاطول نحو سنتيمتر وثقلها ١٨ قيراطاً كانت بين جواهر السلطان محمد بدر الدين سلطان سولو من جزائر فيلبين وهي صافية اللون تكاد تكون شفافة. ويقال ان هذا اللؤلؤ غير نادر ولكن اهالي البلدان الشرقية يتشاءمون منهُ ويقولون ان مَن كان في يدهِ خاتم فصهُ منهُ مات قتلاً

مرض البلاغرا والسكيت

ذكرنا غير مرة الرأيين الشائعين في سبب مرض البلاغرا الرأي القائل ان سببهُ اكل الذرة التي ابتدأ فيها الفساد والرأي القائل ان سببهُ مكروبي يأتي بلسع الناموس الصغير المعروف بالسكيت . وهذا الناموس يبيض ويتوالد في المياه الجارية . وقد بحث الدكتوران سمبون وتشمبرس في هذا الموضوع بحثاً مدققاً فاستنتجا ان لا علاقة لهذا المرض باكل الذرة وان اكثر حدوثهِ في الاماكن التي تكثر فيها المياه الجارية والسكيت . بقي ان يثبت ان السكيت علة سببية لهُ لا علة معيَّة وان يكشف الميكروب او الحيوان الميكرسكوبي الذي يسبب هذا المرض بواسطة لسع السكيت

فحم الانثراسيت من الخشب

فحم الانثراسيت اجود انواع الفحم الحجري وقد اقتضى تكونهُ في طبقات الارض قروناً كثيرة لكن احد علماء المانيا صنعهُ الآن من الخشب في ساعات قليلة وذلك باحماء الخشب الى درجة عالية جدًّا من الحرارة تحت ضغط شديد فاذا احمي الى الدرجة ٥٩٠ بميزان فارنهيت استحال فحماً في ٦٤ ساعة واذا احمي الى الدرجة ٦٤٤ استحال فحماً في ٨ ساعات

كسوف الشمس الكلي

وقعت امطار غزيرة في بلاد برازيل في ١٠ اكتوبر في كل المنطقة التي رصد فيها الكسوف الكلي فلم يرَ مع ان الرصد قصدوا برازيل لهذه الغاية من انكلترا وفرنسا والمانيا

النشا الذواب

ذكر المسيو فرنياش في اكادمية العلوم بباريس انهُ اذا مُزج درهمان من النشاء بمئة درهم من الماء وصب المزيج في مقدار كبير من الاسيتون رسب النشاء في الاسيتون فيجمع ويجفف في الفراغ فيصير يذوب في الماء بسهولة ويتكون منهُ ومن اليود صبغ ازرق جميل

مذنَّب غال

اقترب مذنب غال فصار من القدر الرابع فيرى بالعين تحت النجم الاكبر من صورة الحواء وهو نواة مشرقة حولها شعاع منتشر منها ولها ذنب كان طولهُ نحو نصف درجة في ١١ اكتوبر

الخبز الابيض والاسمر

قال الدكتور ليونرد هل رئيس قسم الفسيولوجيا في مجمع تقدم العلوم البريطاني في خطبة الرئاسة انهُ جرَّب الخبز الابيض طعامًا للجرذان والفيران والحمام فوجد انها لا تعيش اذا كان طعامها منهُ ومن الماء لا غير ولكن اذا كان طعامها من الخبز الاسمر الذي عجنت معهُ النخالة والاجزاء الصلبة من الحنطة عاشت ولم تمت · وان اكل الخبز الابيض والارز المبيض والطعام الموضوع في علب الصفيح يسبب مرض البريبري لان الخبز الابيض والارز المبيض خاليان من عناصر لازمة للصحة ولان الحرارة الشديدة التي تعرَّض لها الاطعمة وقت وضعها في العلب تزيل منها تلك المواد

كيف يتكوَّن اللؤْلؤ

وُجد في صدف اللؤْلوء في سيلان دود صغير من نوع الدود القرعي الذي يصيب الانسان فظنَّ البعض انهُ سبب تكوُّن اللؤْلوء فيهِ ولكن احد الباحثين نفى هذا الظن وقال ان الدود القرعي يوجد في حيوان الصدف مصاحبًا لآفة اخرى كما يوجد في الكلب مصاحبًا لآفة اخرى وان هذه الآفة تغير نظام رسوب مادة الصدف فيرسب منها نواة في جسم الحيوان وترسب المادة اللؤْلؤية حولها

حرير الاري

الاري دود يعيش على ورق نبات الخروع في بلاد اسام ويصنع شرانق لا تحل كشرانق دود الحرير لانها مؤَلفة من طبقات بعضها فوق بعض لا من خيط واحد فتمزق هذه الشرانق فيخرج منها الياف كالياف القطن تغزل وتنسج فيكون منها منسوجات حريرية متينة جدًّا

نقل الزنابير لخميرتها

كتب بعضهم الى جريدة البستانيين يقول انهُ رأى قفيرًا من الزنابير في بستان والزنابير فيهِ بالمئات فعزم ان يصبَّ عليهِ البترول في الليل ثم مرَّ من هناك بعد ساعة فرأى الزنابير قد حملت بيضها وخرجت بهِ مهاجرة الى مكان آخر

بساتين باريس

تبلغ مساحة البساتين في ضواحي باريس ٢١٢٥ فدانًا يعمل فيها ٥٠٠٠ من الفلاحين وعيالهم فيستغلون منها من الاثمار والخضر

والبقول ما يكفي مليونين من سكان باريس ويرسلون جانباً كبيراً مما يستغلونهُ الى مدينة لندن . لكنهم يضطرون ان يغيروا ترابها من وقت الى آخر لكثرة ما ينهكونها بالزرع المتكرر

قتل القاتل

مُنع قتل القاتل في هولندا سنة ١٧٨٠ فنقصت جرائم القتل اولاً ثم زادت كما ترى في هذا الجدول

سنة	١٨٩٨	قتل	١٦
«	١٨٩٩	«	١٢
«	١٩٠٠	«	١٤
«	١٩٠١	«	١٩
«	١٩٠٢	«	١٤
«	١٩٠٣	«	١٧
«	١٩٠٤	«	٢٢
«	١٩٠٥	«	٢٥
«	١٩٠٦	«	٢٤
«	١٩٠٧	«	٢١
«	١٩٠٨	«	٣٤

لكن عدد السكان زاد في هذه المدة زيادة تقارب زيادة الجرائم الاَّ في السنة الاخيرة . ومنع قتل القاتل في نروج سنة ١٩٠٥ فلم تزد جرائم القتل بل كانت ٣٨ سنة ١٩٠١ و ١٨ سنة ١٩٠٢ و ١٣ سنة ١٩٠٣ و ١٤ سنة ١٩٠٤ و ١٤ سنة ١٩٠٥ و ١٦ سنة ١٩٠٦ . واما في المانيا حيث يقتل القاتل فلم تقلَّ جرائم القتل بل زادت كما ترى في هذا الجدول

سنة	١٩٠٥	قتل	٢٧١
«	١٩٠٦	«	٢٦١
«	١٩٠٧	«	٢٧٢
«	١٩٠٨	«	٢٩٠
«	١٩٠٩	«	٢٨٨

ولعلَّ للاحوال المعاشية شأناً في ازدياد الجرائم وقلتها اكثر مما لنوع العقاب

الطعام الطبيعي والصناعي

من الاحلام التي يحلم بها مؤلفو الروايات عن مستقبل الانسان انهُ سائر نحو صنع الغذاء من عناصر الهواء والماء فيصير يفتح انبوباً في بيتهِ ويملأُ كأساً من الغذاء كما يملأ الآن كأساً من الماء فيعيش لا طبخ ولا نفخ ولا فلح ولا زرع بل تصنع الاطعمة في المعامل الكيماوية وتوزع على الناس . لكن الباحثين في تركيب الاطعمة واغتذاء الجسم بها وجدوا ان الطعام الصناعي لا يقوم مقام الطبيعي لان في الطبيعي اشياء طفيفة لا يستغني الجسم عنها ولا تعمل بالصناعة فاذا أُطعم الحمام شعيراً مقشوراً او ارزاً مقشوراً مات هزالاً لا لان قشر الشعير والارز مغذٍ لذاتهِ بل لان فيهِ مادة لا يقوم الغذاء بدونها . وقد وجد كزمير فنك ان هذه المادة لا تزيد في قشر الارز على غرام واحد في كل عشرة آلاف غرام من الارز

اصل اليابانيين

قال المستر ارثر ماي ناب في مجلة الاتلنتك الشهرية ان اصل اليابانيين من غربي اوربا فهاجروا شرقاً الى ان وصلوا الى جزائر اليابان وهم في الاصل مثل اليونان ومداركهم كمداركهم ولم يؤثر انحطاط الشعوب الشرقية فيهم تأثيراً كبيراً

تعليم البنات في اليابان

حالما اخذت اليابان تقتفي خطوات اوربا جعلت تعلم بناتها كما تعلم بنيها . وعدد التلامذة في مدارسها الابتدائية نحو ستة ملايين نصفهم من البنات واما المدارس العالية فعدد البنات فيها ٤٠٠٠٠ وعدد الصبيان نحو ثلاثة اضعاف ذلك

السر اوليفر لدج والحياة

بحث السر اوليفر لدج في خطبة الاستاذ شافر التي نشرنا بعضها في المقتطف فقال انهُ يطلب من البيولوجي ان يبحث في المظاهر التي تظهر من المادة وهي تحت تأثير الحياة ولكن لا يطلب منهُ ان يعرف حقيقة المادة ولا حقيقة الحياة . فالفلاَّح يلقي البذار في الارض ويضع البيض تحت الدجاجة الرنقاء فتظهر ظواهر الحياة في البذار وفي البيض ولولا ذلك لم تظهر فالقاء البذار في الارض ووضع البيض تحت الدجاجة مكَّن الحياة من التأثير في مواد البذار والبيض والظهور بمظاهرها فاذا تمكن العلماء من توليد جسم حي فلا يكون عملهم هذا سوى تركيب العناصر على اسلوب تؤثّر فيهِ الحياة كالقاء البذار في الارض ووضع البيض تحت الدجاجة . ولا نعلم حينئذٍ من حقيقة الحياة اكثر مما يعلم ولد من حقيقة المغنطيسية اذا تمكن من مغنطة قطعة من الحديد . ثم اشار على علماء الدين ان لا يتخذوا عجزنا عن توليد الاجسام الحية دليلاً على قدرة الخالق وقال ان الناس في اول عهدهم كانوا يظنون ان النار لا تتولد الاَّ من نار أُخرى لكنهم اكتشفوا بعد ذلك انها تتولد بالفرك والقدح وعيدان الفصفور . ولا يمكن الاعتماد على دليل النفي بوجه من الوجوه

انتشار الجرائد الانكليزية

كانت جريدة الدبلي مرور اليومية تطبع الف نسخة في اليوم سنة ١٩٠٤ فصارت تطبع الآن اكثر من ٨٠٠ الف نسخة وطبعت يوم جنازة الجنرال بوث ١٠٤١٣٤٩ نسخة اي اكثر من مليون واربعين الف نسخة . وكانت جريدة الدبلي مايل تطبع في يوليو واغسطس الماضيين ٩٠٠ الف نسخة كل يوم والايفننج نيوز ٦٠٠ الف نسخة في اليوم

مذنب جديد

اكتشف المسيو شوماس مذنباً جديداً في مرصد نيس في ١٨ اكتوبر وهو المذنب الثاني الذي اكتشف هذه السنة

فهرس الجزء الخامس من المجلد الحادي والاربعين

٤١٧ نشوء الانسان . خطبة للدكتور اليوت سمث رئيس قسم الانثربولوجيا (اي علم الانسان) في مجمع تقدم العلوم البريطاني
٤٢٥ الشيخ سعيد الخوري الشرتوني . لرشيد افندي عطيه
٤٣١ آثار العرب الخالدة في اوربا . لاحمد زكي باشا
٤٤٢ هرم تمدن الشرق وشباب تمدن الغرب . لأمكح
٤٤٦ النساء والطب . ليوسف افندي رزق الله غنيمة
٤٥٠ حيوانات الجيزة (مصوَّرة)
٤٥٨ الطعام المطبوخ
٤٦٣ صيد الفيل حيًّا
٤٦٥ الانتقاد في بلادنا . لأسعد افندي داغر
٤٦٩ حقوق الامم . لسامي افندي الجريديني المحامي
٤٧٣ وصف الطبائع لثيوفراستس . لسليم افندي عوَّاد
٤٧٧ الحياة وماهيتها ومنشأها وحفظها . للاستاذ شيفر
٤٨٥ الحرب الناشبة (مصوَّرة)

٤٨٩ باب الصناعة * نصيحة للصناع والتجار الوطنيين . آيات الصناعة . تنكيل الحديد او تفضيضهُ بالفرك . جمع برادة الذهب . صقل الالومنيوم . تنظيف النحاس الاصفر
٤٩٢ باب المراسلة والمناظرة * سابقية العرب في استعمال الجرائد . غنى العربية عن غيرها
٤٩٦ باب الزراعة * اليوسف افندي او المندرين . النارنج . الليمون الحامض او المالح . الليمون الحلو . الجراثيم الارضية ووظائفها . كبر موسم القطن يقلل ثمنهُ . مقطوعية معامل الغزل
٥٠٥ باب التقريظ والانتقاد * مصر الحاضرة . رواسب الصودا في مصر . الهندسة الفراغية . رواية روح المصور . الاسلام والاصلاح . امتيازات الجماعات المسيحية
٥١١ باب المسائل * وفيهِ ١٠ مسائل
٥١٤ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢٧ نبذة